بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة شندي

كلية الدراسات العليا

الحياة الاقتصادية في الدولة الأموية

(في الفترة من 41هـ إلى 132هـ"- "662م- 750م")

بحث لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة:

عواطف عبدالله سعيد

إشراف الدكتور

فاروق علي صديق

1437هـ-2016م

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
فهرست الموضوعات	أ
استهلال	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
المستخلص باللغة العربية	هـ
Abstract	و
المقدمة	1
الفصل الأول: قيام الدولة الأموية.	
المبحث الأول: نشأة الدولة الأموية	6
المبحث الثاني: الفتوحات الإسلامية	24
الفصل الثاني: التركيب السكاني	
المبحث الأول: المسلمون (العرب – البربر – الموالي)	44
المبحث الثاني: أهل الذمة (النصاري – اليهود)	60
الفصل الثالث: الزراعة والري الثروة الحيوانية في الدولة الأموية.	
المبحث الأول: الزراعة والري في الدولة الأموية .	69
المبحث الثاني: الثروة الحيوانية.	80
الفصل الرابع: الصناعة في الدولة الأموية	
المبحث الأول: تطور الصناعة في الدولة الأموية	82
المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في الصناعة.	87
الفصل الخامس: التجارة في الدولة الأموية	
المبحث الأول: حركة التجارة الداخلية في الدولة الأموية	89
المبحث الثاني: حركة التجارة الخارجية	92
الخاتمة.	99
النتائج	99
الملاحق	101
المصادر والمراجع	**102**

استهلال

(وقل اعملوا فسيرى **الله عملكم** ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

سورة التوبة الآية(١٠٥)

الإهداء

إلى كل من قال لا إله إلا الله

إلى كل من علم الناس خيراً

إلى روح والدي تغمده الله بواسع رحمته

إلى زوجي ونور حياتي أمده الله بالصحة والعافية

إلى الينبوع الحنون والدرب المنير

أمي الحبيبة

إلى كل أهلي وأحبابي ورفقاء دربي

أهدي هذا البحث المتواضع وأرجو من الله القبول والسداد

الباحثة

الشكر والتقدير

الشكر أولاً للمولي عز وجل علي ما من به وتفضل بان يسر لنا إعداد هذا البحث اسأله تعالي أن يتقبل منا بقبول حسن ، هو ولي ذلك والقادر عليه.

ثم الشكر لجامعة شندي

كلية الدراسات العليا قسم التاريخ

والشكر موصول لكل من ساهم وظل يساهم في رفعة التعليم وأن تظل منارة العلم خفاقة في بلادنا الحبيبة.

الشكر والتقدير والعرفان إلي الدكتور/ **فاروق علي صديق**

الذي سبق فضله كلمات الامتنان والتقدير والذي كان حريص كل الحرص علي أن يخرج هذا الجهد العلمي بما يرضي الله ثم الباحثين في هذا المجال، منقب في زواياه، وموجه في أدق التفاصيل برصانة علمية تدعو إلي الفخر والإعزاز.

وذلك بروح إنسانية غمرتنا بجليل معانيها فله منا كل التقدير والاحترام.

والشكر موصول إلي مكتبات جامعة شندي

الباحثة

المستخلص باللغة العربية

اختلف الخلفاء الأمويين في السياسة الاقتصادية والمالية ولكن الخليفة عمر بن عبد العزيز أعاد التوازن الاقتصادي للدولة الأموية، هذه الحقبة التاريخية الإسلامية الممتدة من عام 41هـ – 132هـ حافظت على ثوابت الحياة الاقتصادية وتطورها في إطار التشريع الإسلامي والمشاكل التي واجهت الدولة الأموية وكيف تمت معالجتها والعوامل التي أثرت سلبا وإيجابا في تطور اقتصادها وهل من الممكن الاستفادة منه وتطبيقه على الأسس الاقتصادية الحديثة وكيفية تطبيق الاقتصاد الإسلامي في واقع الحياة المعاصر، ولما كانت التناول لهذا الموضوع (الحياة الاقتصادية في الدولة الأموية) كان لزماً أن نتحدث عن الحياة الاقتصادية بكل جوانبها فتحدثنا عن نشأة الدولة الأموية والفتوحات التي تمت فيها والخلفاء الأمويين الذين تعاقبوا على الحكم منذ نشأتها وحتى سقوطها، وكذلك تطرقنا لعنصر السكان لأنه العنصر الأساسي في العملية في التنمية الاقتصادية بمختلف تركيباتهم، ومن ثم كانت الزراعة والري والثروة الحيوانية وكذلك الصناعة وتطورها والعوامل المؤثرة فيها، أن المجتمعات البشرية قد تعارفت على بعض المفاهيم والعادات التي يقصد بها تحقيق العدالة الاجتماعية في توزيع الثروات، و تمثلت مشكلة البحث في بعض النقاط أهمها، صعوبة الحصول على الموارد الخاصة بهذا الموضوع، وتتمثل مشكلة البحث أيضا في الإجابة على هذه التساؤلات، هل الحياة الاقتصادية لها نهج واضح تجاه الدولة الأموية؟ ومن ثم أسباب اختيار الموضوع، معرفة الحياة الاقتصادية في الدولة الأموية، نشأة وتطوراً وتأثيراً. وكانت أهداف البحث تهدف إلى إبراز الحياة الاقتصادية في الدولة الأموية ودلدورها في تطور الدولة داخليا وخارجيا وخلق علاقات مع الدول المحيطة بها، والمنهج المتبع في البحث، المنهج التاريخي التحليلي. وتوصلت إلي عدة نتائج أهمها، توسع الدولة الإسلامية ونشر الدين الإسلامي وأثره في المجتمعات الجديدة نتيجة فتوحات الدولة الأموية، تنشيط جانب الطلب الفعال على المنتجات الزراعية عن طريق رفع دخول شريحة كبيرة من المجتمع، وجود المقومات الصناعية أدى إلى التوسع في حركة التجارة والصناعة داخل الدولة الأموية.

Abstract

Differed Umayyad caliphs in the economic and fiscal policy, but the Caliph Omar bin Abdul Aziz returned the economic balance of the state of the Umayyad this historical period of the Islamic period from the year 41 AH - 132 AH kept the fundamentals of economic life and its evolution within the framework of Islamic legislation،Problems faced by the Umayyad dynasty and how they were ad dressed and the factors that affected positively and negatively in the development of its economy. Is it possible to take advantage of it and apply it to modern economic principles and how to apply the Islamic economy and in fact contemporary life, Since the handling of this issue (in the economic life of the Umayyad dynasty) was to talk about economic life in all its aspects and we spoke about the emergence of the Umayyad dynasty and conquest that has the Umayyad caliphs, who led the government since its inception and until the fall, Well we talked to an element of the population because it is a key element in the economic development process in various operatives, It was then the agriculture, irrigation and livestock, as well as the industry and its evolution and the factors influencing them, that human societies could keeping with accepted practices on some of the concepts and habits that are intended to achieve social justice in the distribution of wealth and represented the research problem in some of the most important points the difficulty in obtaining resources this topic, The research problem is also the answer to these questions, do economic life have a clear approach to the Umayyad dynasty? And then the reasons for choosing the subject. Knowledge of the economic life of the Umayyad dynasty, And the emergence of sophisticated and influential he objectives of the research aims to highlight the economic life of the Umayyad dynasty in the evolution of the state both internally and externally and create relationships with the surrounding states, The approach taken in the search, the historical analytical approach. And it reached the following findings, the expansion of the Islamic state and the spread of Islam and its impact in the new communities as a result of the conquests of the Umayyad dynasty, besides activating the effective demand for agricultural products by raising the entry of a large segment of society, An industrial ingredient led to the expansion of trade and industry movement within the Umayyad dynasty.

المقدمة:

تناول القران الكريم والسنة النبوية الحياة الاقتصادية وهي متطورة بتغير الزمان والمكان ، لقد كانت الفتوحات الإسلامية واجتهاد الخلفاء في عهد الخلافة الراشدة نواة سار الخلفاء الأمويين على نهجهم وتطورت الحياة الاقتصادية لرفع مستوى المعيشة في المجتمع خاصة النواحي الاقتصادية مثل الزراعة – الصناعة – التجارة فهي صميم الحياة، اختلف الخلفاء الأمويين في السياسة الاقتصادية والمالية ولكن الخليفة عمر بن عبد العزيز أعاد التوازن الاقتصادي للدولة الأموية، هذه الحقبة التاريخية الإسلامية الممتدة من عام 41هـ – 132هـ حافظت على ثوابت الحياة الاقتصادية وتطورها في إطار التشريع الإسلامي والمشاكل التي واجهت الدولة الأموية وكيف تمت معالجتها والعوامل التي أثرت سلبا وإيجابا في تطور اقتصادها وهل من الممكن الاستفادة منه وتطبيقه على الأسس الاقتصادية الحديثة وكيفية تطبيق الاقتصاد الإسلامي في واقع الحياة المعاصره، ولما كان التناول لهذا الموضوع عن الاقتصاد لابد من تعريف كلمة الاقتصاد لغة واصطلاحاً، لقد اتسعت الدولة الإسلامية في العصر الأموي وامتدت حدودها من فرنسا غرباً إلى كاشغر في الصين شرقاً ومن بحر قزوين شمالاً حتى المحيط الهندي جنوباً . ومن أجل فهم أفضل لما كان عليه نظام الحكم والإدارة في تلك الفترة ، فقد تضمن التقسيمات الإدارية، والوظائف الإدارية، والمؤسسات الإدارية (الدواوين)، التقسيمات الإدارية : كانت الأقاليم التي تتكون منها الدولة الأموية موزعة على النحو التالي[1]:

ولاية الشام: وتتكون من جُند (منطقة) دمشق وجند حِمْص وجند قِنِّسرين وجند فلسطين وجند الأردن. وبما أن الخليفة كان يقيم في العاصمة دمشق ، فإنه كان يعين ولاة من قبله على هذه الأجناد (المناطق)، ولاية العراق : وأهم مراكزها البصرة والكوفة وواسط. ويتبعها مناطق فارس وكرمان ، وخراسان ، وسجستان ، وأصبهان والأحواز وقزوين وجرجان وطبرستان وأذربيجان والري وقومس ونهاوند. ويتبعها ، أيضاً ، بلاد ما

(1) ابن أعتم الكوفي ،أبو محمد أحمد الكوفي ، الفتوح ، دار الكتاب، بيروت،1406هـ ،1986م ،ج2.، ص 18.

وراء النهر (نهر جيحون) وهي تشتمل على مدن بخارى وسمرقند وطشقند وخوارزم . والمناطق المحيطة بها حتى حدود الصين . وكانت البحرين (وتمتد من الأحساء إلى كاظمة/الكويت بما فيها البحرين حالياً) وعُمان وما فتح المسلمون من مناطق في حوض نهر السِّند تتبع والي العراق . وعلى أية حال، فإن ولاية العراق كانت هي الأكبر جغرافياً والأكثر سكاناً من أية ولاية أخرى في الدولة. ولاية الجزيرة الفُراتية: وموقعها في شمال شرق سورية فيما بين نهري دجلة والفرات. ويتبعها أقاليم أذربيجان ، وأرمينية ، والموصل، وأجزاء من آسيا الصغرى. وكان والي هذا الإقليم يقيم في مدينة حَرَّان. (تقع حالياً بمنطقة ديار بكر في الأراضي التركية وهي على بعد 127 كيلو متر شمال مدينة الرقة السورية)، ولاية الحجاز، وأشهر مدنها مكة والمدينة[1]، حيث كان يقيم الولاة، . والطائف . وكان يتبعها إقليم اليمامة أحياناً . (وكانت القاع أو حَجْر اليمامة ، وسط مدينة الرياض القديمة، هي مقر إقامة والي اليمامة)، ولاية اليمن، وأشهر مراكزها : صنعاء (وهي مركز الولاية حيث يقيم الوالي) ، وحضرموت ، والجَنَد، ولاية مصر وتتكون من مصر العليا (من الصعيد حتى النوبة) ومصر السفلى(الوجه البحري) وفيه الفُسْطاط (حيث مقر الوالي) والإسكندرية والسويس، ولاية المغرب، وتشمل المنطقة الممتدة من بَرقة (في ليبيا) حتى طنجة (في المغرب) . وكانت قاعدتها مدينة القيروان. وكانت هذه الولاية، في أول أمرها تابعة إلى والي مصر، ولكنها أصبحت ولاية مستقلة في عهد يزيد بن معاوية 63هـ/682م. وتأكد استقلالها في عهد الوليد بن عبد الملك عام 86هـ/685م[2]، ولاية الأندلس: وتشمل المنطقة الممتدة من جبل طارق حتى برشلونة في إسبانيا . وقد تمتد شمالاً حتى مملكة استراسيا في جنوب فرنسا. هذا إلى جانب ما فتح المسلمون من أرض البرتغال . وكانت هذه الولاية تتبع في أول أمرها والي المغرب.

(1) ابن أعتم الكوفي ،أبو محمد أحمد الكوفي ، مرجع سابق، ص 19.

(2) إبراهيم العدوى ،الأمويين والبيزنطيين ،القاهرة ،1952.، ص 32..

وظلت كذلك حتى جعلها الخليفة عمر بن عبد العزيز (99 – 101هـ/ 717 – 719م) ولاية مستقلة . وكان الوالي يقيم في مدينة قرطبة[1]. (خريطة ملحق)

معني الاقتصاد في اللغة والاصطلاح :

أولاً: الاقتصاد لغة : لفظ الاقتصاد مشتق لغوياً من مادة قصد .

جاء في لسان العرب: " يقال فلان مقتصد في النفقة ، والقصد العدل ، والقصد بين الإسرف والتقسيط[2]. ثانياً : الاقتصاد في الاصطلاح: الاقتصاد اصطلاحاً : لعلم الاقتصاد عدة تعاريف كلها تدور حول النشاط الإنساني في أموره المادية ويمكن تعريفه بأنه : " العلم الذي يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع " .

يُقصد به مجموعة القواعد والأحكام التي تنظم جانباً معيناً من جوانب الحياة الإنسانية ويصطلح المجتمع على وجوب احترامها وتنفيذها[3]. ونظراً لأن الجانب الاقتصادي من الحياة يهم جميع شرائح المجتمع فقد تولت الشرائع السماوية بيانه وتنظيمه ، كما أن المجتمعات البشرية قد تعارفت على بعض المفاهيم والعادات التي يقصد بها تحقيق العدالة الاجتماعية في توزيع الثروات المالية. ولما كانت الشريعة الإسلامية آخر الشرائع السماوية فقد اعتنت بهذا الجانب وأقرت العديد من القواعد والأحكام العامة والتفصيلية التي تبين أصول العلاقة المالية بين الأشخاص والأموال من جانب ، وبين الأشخاص بعضهم مع بعض فيما يتعلق بشؤونهم المالية من جانب آخر.

فرضيات البحث:

1. صعوبة الحصول على المادة العلمية الخاصة بهذا الموضوع.
2. وتتمثل مشكلة البحث أيضاً في الإجابة على هذه التساؤلات:

أ.هل الحياة الاقتصادية لها نهج واضح تجاه الدولة الأموية ؟

---

(1) ابن أعتم الكوفي ،أبو محمد أحمد الكوفي ، مرجع سابق، ص 20.

(2) محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب. مادة(قصد). دار صادر. بيروت. الطبعة الأولى. ج12، ص90.

(3) نفس المرجع، ص 91.

ب.هل التجارة والزراعة والصناعة ساعدوا في انتعاش الحياة الاقتصادية في الدولة الأموية؟

أسباب اختيار الموضوع:

تتمثل أسباب اختيار الموضوع في الآتي :

1. معرفة الحياة الاقتصادية في الدولة الأموية، نشأة وتطوراً وتأثيراً.
2. تعريف أهمية الحياة الاقتصادية للدولة الأموية ببعض المجتمعات .
3. فهم التاريخ الأموي والحياة الاقتصادية في الدولية الأموية وتصحيحه من خلال فهمه فكراً وتطبيقاً وأبعاده وأساليبه الإيجابية وضرورة تصحيحه وإعادة كتابته لأن ذلك يفيد في فهم الإسلام ودعوته بفهم نظمه وحضارته وفهم حقيقته وتقديمه للناس كما أراده الله وليس كما يريد غيره أينما كانوا في أي زمان ومكان.

أهداف البحث:

يهدف الباحث الى ابراز الحياة الاقتصادية في الدولة الاموية ودورها في تطور الدولة داخليا وخارجيا وخلق علاقات مع الدول المحيطة بها .

منهج البحث:

اتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج التاريخي التحليلي، واعتمدت على المصادر والمراجع التي تتحدث عن الاقتصاد مباشرة.

هيكل البحث :

يتناول هذا البحث تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة على النحو التالي:

الفصل الأول: قيام الدولة الأموية.

المبحث الأول: نشأة الدولة الأموية

المبحث الثاني: الفتوحات الإسلامية

الفصل الثاني: التركيب السكاني

المبحث الأول: المسلمون (العرب – البربر– الموالي)

المبحث الثاني: أهل الذمة (النصاري – اليهود)

الفصل الثالث: الزراعة والري الثروة الحيوانية.

المبحث الأول: الزراعة والري.

المبحث الثاني: الثروة الحيوانية.

الفصل الرابع: الصناعة في الدولة الأموية .

المبحث الأول: أهداف وخصائص الصناعة

المبحث الثاني: مقومات الصناعة وأهم الصناعات.

الفصل الخامس: التجارة في الدولة الأموية.

المبحث الأول: حركة التجارة الداخلية في الدولة الأموية

المبحث الثاني: حركة التجارة الخارجية

النتائج والتوصيات .

الخاتمة

المصادر والمراجع

الفصل الأول
قيام الدولة الأموية

المبحث الأول: نشأة الدولة الأموية

المبحث الثاني: الفتوحات الإسلامية

المبحث الأول

نشأة الدولة الأموية

نشأة الدولة الأموية:

بعد مقتل على –رضى الله عنه– سنة 40هـ تهيأت الظروف للأمويين لكى يبسطوا سلطانهم على الدولة الإسلامية. حقّا إنهم ذَوُ حسب ونسب، فهم سلالة "أمية ابن عبد شمس" أحد سادات قريش وزعمائها قبل الإسلام. وقد كان سفيان بن حرب والد معاوية أحد أبناء هذا البيت الأموى ومن أكبر سادات قريش، وإليه كانت قيادة قوافل التجارة، وإدارة شئون الحرب، ولم يسلم إلا عند فتح مكة، وروى عن معاوية أنه أسلم يوم عمرة القضاء وكتم إسلامه حتى فَتْح مكة، وقد لقى أبوسفيان من الرسول معاملة كريمة حيث أعلن عند فتح مكة أن "من دخل دار أبى سفيان فهو آمن". واستخدم الرسول (معاوية كاتبًا له، واستعان الخلفاء الراشدون بأبناء البيت الأموى، فكان يزيد بن أبى سفيان أحد قادة الجيوش الأربعة التى بعث بها أبو بكر –رضى الله عنه– لفتح الشام سنة 11هـ/633م. وقد حارب يزيد وتحت إمرته أخوه معاوية فى عهد الخليفة عمر فلما توفى يزيد سنة 18هـ/ 639م، استعمل الخليفة "عمر" معاوية بن أبى سفيان على دمشق وعلى خراجها، ثم جمع له الشام كلها[1].

عام الجماعة: ولقد مهدت الأقدار لمعاوية بن أبى سفيان فى أن يخطو خطوات ثابتة لكى يتولى منصب الخلافة، وبايعه الحسن بن على –رضى الله عنه– الذى كان قد خلف أباه وصار معه ما يقرب من اثنين وأربعين ألفًا من الجند، لكنه لم يطمئن إلى ولاء

(1) أحمد لبيد إبراهيم ، سمير سيف ، عصر النبوة والخلافة الراشدة، المغرب، الرباط ، المكتبة التجارية 1984م ، ص 10.

العاملين معه. كان ذلك عام 41هـ/662م[1]، وهو عام الجماعة الأول، لأن معاوية نال فيه البيعة بالخلافة من جميع الأمصار الإسلامية، ويعتبر هذا العام الميلاد الرسمى لقيام الدولة الأموية. ولقد روى عن الحسن البصرى أنه قال: استقبل- والله- الحسنُ بن على معاويةَ بن أبى سفيان بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إنى لأرى كتائب لا تتولى حتى يقتل أقرانها. فقال معاوية وكان والله خير الرجلين إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لى بأمور المسلمين، من لى بضعيفهم؟ من لى بنسائهم؟ وبعث معاوية إلى الحسن يطلب المصالحة وحقن دماء المسلمين، وكان الحسن مهيأ لهذا الأمر النبيل، فما أعز دماء المسلمين عنده. وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية على أن تعود الخلافة بعده شورى بين المسلمين. ولما قدم الحسن الكوفة قابله سيل من التعنيف واللوم لتنازله عن الخلافة، لكنه كان بارًا راشدًا لا يجد فى صدره من هذا الأمر حرجًا أو ندمًا، قال له رجل اسمه عامر: السلام عليك يا مذل المؤمنين. قال: لا تقل هذا يا عامر، لست بمذل المؤمنين، ولكنى كرهت أن أقتلهم على الملْك. وتحققت نبوءة النبى (فى الحسن يوم قال: "إن ابنى هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[2]".

خلافة معاوية بن أبى سفيان (41 - 60 هـ/ 661- 679م):

تسلم معاوية ناصية الحكم بعد معركة صفين واغتيال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتنازل الحسن، في العام 41 هجرية /661 ميلادية . وبذلك حدث تحول خطير في آليات الحكم من الخلافة الى المُلك. رغم ما أحاط ببيعة الخلفاء الأربعة من ملابسات. وصل معاوية الى السلطة بالسيف، وخاض حروباً متلاحقة كان عنوانها

(1) أحمد لبيد إبراهيم ، سمير سيف ، مرجع سابق، ص 87.

(2) البخاري، صحيح البخاري، باب الجهاد، الجزء5، ص 2326.

الأساس هو الطلب بدم+ عثمان، شيخ بني أمية وكبيرهم، الخليفة المقتول ظلماً وعدواناً . وتمكن من أن يحشد خلفه قبائل أهل الشام . لكن الدولة الأموية التي سينشئها والتي ستستمر حتى العام 132هجرية /750 ميلادية لإضطرابات تودي بها الى النهاية قبل أن يحين موعد الرحيل الأخير على أيدي الثوار العباسيين[1].

والدولة الأموية رغم النظر اليها من زاوية احلالها المبدأ "الملوكي" في الحكم، ومسؤوليتها عن مصرع ابن بنت رسول الله الحسين بن علي والكثير من آل بيته في موقعة الطف– كربلاء، هي دولة قريش أولاً والبيت الأموي ثانياً والعرب المسلمين ثالثاً في ذلك المفصل من الزمن، وهي دولة لا يمكن أن تقوَّم على هذا النحو المُجتزأ. اذ تظل اكثر تأثيراً مما ورد اعلاه، خصوصاً في ضوء الإنجازات الكبرى التي حققتها على صعيدي توسيع نطاق المناطق المفتوحة، والتأثير الحضاري على ثقافة الشعوب المغلوبة في كل من الشام ومصر وبلاد فارس والمغرب العربي وصولاً الى الإندلس[2].

ومما لا شك فيه أن الأمويين وبيتهم كان لهم حضور وازن على الصعيدين السياسي والاقتصادي في المرحلة التي سبقت الإسلام . ولعل الدور القيادي لأبي سفيان في تجارة القوافل القرشية وفي مرحلة الصراع مع الرسول ما هو الا تعبير عن تلك المنزلة والدور، وخلال فتح مكة كرَّم الرسول أبا سفيان، وأعلن أن من يدخل داره من المشركين القرشيين فهو آمن. وبذلك ساوى بين الأمان الذي يتيحه الدخول الى ذلك البيت مع الكعبة. وعلينا أن ألا ننسى هنا أن الرسول سبق و تزوج من أخت أبي سفيان أم حبيبة، وبعد الفتح انتقل أبو سفيان الى المدينة وعاش على مقربة من الرسول، بينما كان أبناؤه

(1) أحمد لبيد إبراهيم ، سمير سيف ، مرجع سابق، ص 88.

(2) شبارو، عصام محمد .(1987) تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين .بيروت-لبنان :دار مصباح الفكر. ص 51.

في محيطه، وعمل معاوية كاتباً للوحي مع سواه، وشارك الأمويون في معارك وحروب الردة قادة وفرسان، وقد تنبه الأمويون في مرحلة الفتوحات الى ضرورة اندماجهم في قيادتها بعد أن تأخر اسلامهم عن الآخرين من المهاجرين والأنصار، وفي تلك المرحلة يمكن أن نلحظ حضور الكفاءات الأموية في المواقع القيادية، وكان شقيق معاوية يزيد أحد قادة الفتوحات في بلاد الشام . مستفيداً في موقعه هذا من علاقة البيت الأموي مع تلك البلاد، ومعرفته العميقة بأوضاعها عموماً وقبائلها العربية منذ سنوات بعيدة خصوصاً. وعندما توفي يزيد حل محله شقيقه معاوية، وثبته في موقعه الخليفة عمر بن الخطاب كوالٍ على الشام . ووسع عثمان من صلاحياته المدنية والحربية. وأجاز له بناء اسطول حربي لمواجهة البيزنطيين الذين كانوا يغيرون على الشواطئ في بلاد الشام ومصر . خلال تلك المنعطفات كان الأمويون يكرسون عودة ما، الى مواقعهم القيادية ضمن تركيبة قريش. واعتماداً على ذلك رأى ابن خلدون أن ما فعله معاوية كان أمرا طبيعياً انطلاقاً من مفهوم العصبية الذي أرساه في قراءة تاريخ العرب والمسلمين .وهي عصبية باتت في هذا البيت دون سواه من بيوت قريش، بمن فيها بني هاشم في أعقاب وفاة الرسول وابتعاد الخلافة عن علي مرات ثلاثة[1].

اذن يعتبر إبن خلدون أن تطوراً طبيعياً قد حدث، انتقلت معه الأمور الى البيت الأموي دون سواه من بيوت قريش ... وعليه فقد لُقب معاوية بأمير البر والبحر عندما جُمعت له قيادة الجيوش الاسلامية البرية والبحرية. اضافة الى دوره الإداري كوالٍ على الشام . ومنذ وصول عثمان الى الحكم اعتبر الأمويون السلطة حقا من حقوقهم العائلية، وعملوا في ادارته، وباتوا يده وعقله ولسانه. وعندما قُتل ورثوا دمه، وطالبوا علياً بتسليمهم القَتَلة لمعاقبتهم. ومن خلال رفضه أو عجزه عن ذلك، تمردوا على بيعته . وقد

(1) شبارو، عصام محمد، مرجع سابق. صفحة 52.

أفادوا من التطورات المتلاحقة لدعم موقفهم في مواجهة الخليفة الرابع. وفي مقدم تلك التطورات معارضة عائشة وطلحة والزبير له. وبذلك، كسب معاوية المزيد من الوقت لتكتيل القوى وراءه في الشام، بينما كان علي يغرق في دماء معركة الجمل ونتائجها الكارثية رغم انتصاره الحربي. وقد شن معاوية حملة دعائية واسعة لدعم موقفه بين قبائل الشام . وقد فعلت هذه فعلها في البنية العربية القبلية التي تُجِل موقع شيخ القبيلة وكبيرها. وقد جذبت هذه الحملة ،التي جال فيها قميص عثمان المُدمَّى على القبائل، مزيدا من المؤيدين لسياسته .وانطلقت الحملة هذه من مبدأ ادانة انزال عقوبة الذبح بالخليفة الثالث والمطالبة بدمه. ومن المعروف أن عثماناً نال سلطته من لجنة الشورى السداسية التي عينها عمر بعد طعنه وقبل وفاته. وتأخرت المعارضة له الى ما بعد ست سنوات من حكمه . لكن علياً تلاه في الخلافة. ومنذ وصوله كان مطعوناً بشرعيته منذ اعلان البيعة. فقد نقض بيعته الفريق الثلاثي والمؤلف من عائشة وطلحة والزبير ومن معهم، فضلاً عن بلاد الشام برمتها بقيادتها الأموية[1].

عندما أصبح معاوية خليفة للمسلمين، كانت الدولة الإسلامية تقوم على شبه الجزيرة العربية، والشام، والعراق، ومصر، وبلاد الجزيرة، وخراسان. أما الجهات التى وصلت إليها الجيوش الإسلامية فيما وراء تلك البلاد فإنها كانت تفتقر إلى الاستقرار. وكان للفتنة التى حدثت فى عهد عثمان، وما أعقبها من صراع بين على ومعاوية أثرهما فى توقف حركة الفتوحات الكبرى[2]، ومتابعة الجهاد فى سبيل حماية الإسلام، وأداء رسالته، واستكمال بناء الدولة الإسلامية. فلابد أن تعود المياه إلى مجاريها، ولابد أن تعود الفتوحات الإسلامية كما كانت، بل وأكثر مما كانت. لقد أصبحت "دمشق" عاصمة

(1) شبارو، عصام محمد، مرجع سابق، ص 53.

(2) أحمد لبيد إبراهيم ، سمير سيف ، مرجع سابق، ص 87.

الخلافة، ومنها تنطلق الجيوش باسم الله. وعمل معاوية منذ توليه الخلافة على تجهيز الجيوش بشن حرب شاملة ضد "الإمبراطورية البيزنطية"، وهى "إمبراطورية الروم". لقد كانت مركز القوة الرئيسية المعادية للدولة الإسلامية، وطالما حاولت فى لحظات الخلاف والفتنة أن تسترد الشام ومصر، أغلى أقاليم "الإمبراطورية الرومانية" قبل فتح العرب لهما. إن أراضى آسيا الصغرى التابعة لتلك الإمبراطورية تتاخم الجهات الشمالية من بلاد الشام والعراق، وتنطلق منها الجيوش الرومية لتخريب هذين الإقليمين العربيين! فلماذا لا يحاول معاوية القضاء على ذلك العدو اللدود؟ لماذا لا يستولى على القسطنطينية نفسها عاصمة تلك الإمبراطورية[1]؟.

أعد معاوية الحملة الأولى، وزودها بالعَدد والعُدة، وجعل على رأسها ابنه وولى عهده يزيد، ولم يتخلف صحابة رسول الله (عن الجهاد في سبيل الله، فانضموا إلى هذه الحملة متمثلين أمام أعينهم، قول الرسول ("لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش، آملين أن يتحقق فيهم قول الرسول[2]، فقد ثبت عن رسول الله (أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم". ولقد اشترك فى هذه الحملة أبو أيوب الأنصارى الذى نزل النبى فى بيته عند الهجرة. ولم يستطع المسلمون فتح المدينة هذه المرة، ولكن حسبهم أنهم أول جيش يغزو القسطنطينية. ولقد سعد معاوية باشتراك الصحابة فى هذه الغزوة، فهم خير وبركة، فبهم تعلو راية المجاهدين، واتجهت هذه الجيوش إلى القسطنطينية حتى فتحوا بلادًا عديدة فى آسيا الصغرى وضَربوا الحصار على العاصمة الحصينة. وعزز معاوية هذه الغزوة بأسطول سار تحت قيادة فضالة بن عبيد الأنصارى، وسار هذا الأسطول إلى مياه العاصمة البيزنطية. وأثناء الحصار،

(1) نفس المرجع السابق، ص 88.

(2) البخاري، المرجع السابق، الجزء5، ص 2328..

مرض "أبو أيوب الأنصارى" ولم يلبث أن توفى، ودفن جثمانه قرب أسوار القسطنطينية، وأظهر الجنود المسلمون ضروبًا من الشجاعة أذهلت الروم، ثم انسحبت الجيوش الإسلامية بعد ذلك تأهبًا لكرّة أخرى من الجهاد[1].

منجزات معاوية:

أما عن عهد معاوية فقد كان حافلا بالإنجازات، فقد أعاد حبات العقد التى انفرطت فنظمها من جديد، وبعث الجيوش شرقًا وغربًا، وقضى على الفتنة، وأتاح للراية الإسلامية أن تواصل تقدمها فى كل اتجاه، ولقن أعداء الأمة دروسًا لا تنسى! ولقد تحقق له ما أراد، فأقام دولة لبنى أمية وَوَرَّثَ ابنه يزيد الخلافة من بعده، ثم أجاب داعى الله بعد حياة حافلة، وقد قال فيه رسول الله (: "اللهم اجعله هاديًا مهديّا واهدِ به"[2]، وقد لقى معاوية ربه، فى رجب سنة 60هـ / 680م. خلافة يزيد بن معاوية (60 – 64 هـ/ 679– 683م) بويع له فى حياة أبيه ليكون وليّا للعهد من بعده، ثم أكد البيعة لنفسه بعد موت والده فى النصف الثانى من رجب سنة ستين، واستمر فى منصبه إلى أن توفى سنة أربع وستين ! وقد واجهته المشاكل والعقبات عقب تسلمه الحكم، فقد قامت ضده ثلاث ثورات، ترجع دوافعها إلى تقرير "مبدأ الوراثة" فى بنى أمية[3].

دمشق العاصمة الجديدة:

كان على –رضى الله عنه– قد اتخذ من "الكوفة" مركزًا للخلافة، فاتخذ معاوية بن أبى سفيان مدينة "دمشق" لتكون مقرّا لخلافته ولآل بيته من بعده. وكانت هذه الخطوة

---

(1) أحمد لبيد إبراهيم ، سمير سيف ، مرجع سابق، ص 89.

(2) الإمام الترمزي ، الجامع الصحيح لسنن الترمزي، لأبي عيسي محمد بن عيسي، تحقيق أحمد محمد شاكر، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الجزء 5، ص 799.

(3) أحمد بن يحيي البلازري، فتوح البلدان، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، بيروت، دارالمعارف للطباعة والنشر، 1956م، صـ291.

تعنى أن مقر الخلافة أصبح محصنًا بقوة مادية وبشرية كبيرة، وشجعه على ذلك أن أهل الشام برهنوا له عن ولائهم للبيت الأموى، ووقفوا إلى جانب معاوية خلال تلك الفترة التى قامت فيها الفتنة. وكان معاوية قد راح يدعم علاقته بالقبائل الكبيرة منذ ولايته على الشام، فصاهر أقواها وأعزها، وأكثرها نفرًا، وهى قبائل كلب اليمانية، فكانت زوجته ميسون من بنى بحدل من قبيلة كلب، وأنجب منها ابنه يزيد الذى صار ولى عهد الدولة الأموية. أما عن موقع مدينة دمشق عاصمة الخلافة الجديدة، فقد كان موقعًا فريدًا، فهى تقع على حافة بادية البلقاء، فى واحة الغوطة الخصيبة، ويغذيها نهر بردى، وتحيط بها جبال شاهقة من جميع نواحيها وهى إلى جانب هذا كله متجرًا للقوافل التجارية المعروفة باسم "رحلات الصيف"[1]. وها هى ذى قد أصبحت بعد الفتح الإسلامى معسكرًا للجيوش الإسلامية، وقاعدة تباشر منها مهامها الحربية، وتستطيع مراقبة العدو الأول للدولة الإسلامية، وهو إمبراطورية الروم[2].

الوراثة فى الحكم:

وكانت السمة الثانية التى ميزت الدولة الأموية: تطبيق مبدأ الوراثة فى الحكم، لقد تخلى معاوية عن القواعد التى جرى عليها انتخاب الخلفاء الراشدين من قبله، معتقدًا أن المجتمع الإسلامى بعد هذه السنين قد تطور، وأن قوى جديدة فيه قد ظهرت تريد أن تبحث لها عن دور، وأن القبائل الكبرى التى قامت بالدور البارز فى حركة الفتوح وقيادة الجيوش لم تعد تقبل بسهولة أن تنقاد لمن لا ترى مصالحها عنده، وتضمن نفوذها لديه،

(1) البلازري، فتوح البلدان، مصدر سابق، ص 291.

(2) الراوى ثابت إسماعيل ، العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية ، مكتب النهضة ،ط1، بغداد ،1965م. ص 814.

وأن الأمصار والولايات الجديدة قد أصبحت حريصة على جعل جهاز الحكم فيها، أو قريبًا منها، مما يهدد الدولة الإسلامية بالتنازع والحروب الداخلية فرأى أن يستخلف ولده يزيد إذ تؤيده قوة أهل الشام وتحميه قوة قبيلة كلب التى منها أمه وأخواله. . وبالرغم من العقبات التى اعترضت معاوية فإنه استطاع الحصول على البيعة لابنه يزيد سنة 56هـ / 676م، وبهذا تم تحويل الخلافة إلى سلطة مبدأ التوريث. وصار معاوية بذلك مؤسس الدولة الأموية، وأول من طبق الوراثة فى الخلافة الإسلامية[1].

خلافة مروان بن الحكم (64 – 65 هـ/ 683– 684م):

نحن الآن فى عام 64هـ / 684م، وما زال الطريق طويلا أمام الدولة الأموية التي دبت فيها الروح ثانية؛ لتواصل المسيرة حتى سنة 132هـ /750م، فكيف واجهت الأعاصير والأنواء؟! وكيف أعادت بسط سلطان الدولة الأموية من جديد على الأقاليم التي أعلنت البيعة لابن الزبير. والعجيب أن عرب الشام انقسموا إلى فريقين بعد أن اجتمعت بنو أمية على مروان بن الحكم! فالعرب اليمانية راحوا وحدهم يؤيدون مروان، أما العرب القيسية، وعلى رأسهم الضحاك بن قيس، فقد راحوا يؤيدون عبدالله بن الزبير. وهنا يتجلى دور مروان بن الحكم؛ لقد جمع أنصاره، وسار أولا إلى الضحاك، واقتتل الفريقان بـ "مرج راهط" بغوطة دمشق وكان ذلك فى المحرم سنة 65هـ – 684م، وانتصر مروان بن الحكم، ودخل دمشق بعد أن قضى على الفتنة، ونزل بدار معاوية بن أبى سفيان، وبايعه الناس بالخلافة[2].

(1) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، موسوعة سفير للتاريخ الإسلاميّ، الجزء الثاني "العصر الأموي"، القاهرة، دون تاريخ، 1417هـ، ص85.

(2) شبارو، عصام محمد، مرجع سبق ذكره، ص 53.

خلافة عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ/ 684– 705م):

كان الأمويون عندما عقدوا "مؤتمر الجابية" لمبايعة مرْوان بن الحكم قد اتفقوا على أن يخلفه: "خالد بن يزيد بن معاوية" ثم "سعيد بن العاص" من بعده. " غير أن "مروان بن الحكم" نقض ذلك العهد وعهد بالخلافة لابنه "عبد الملك" ومن بعده ابنه " عبد العزيز" وراح يصرف الأنظار عن "خالد بن يزيد" الذى كان شابّا محدود الخبرات فى الإدارة.. بما أوتى من وسائل، ورغم ما فى ذلك من إيثار لابنه ونقض لعهده فإنه كان خيرًا لاستقرار الدولة وكان خيرًا للإسلام والمسلمين. وباتت الدولة الإسلامية الموحدة تتقاسمها خلافتان[1]:-

الأولى: عليها عبد الله بن الزبير وتضم الحجاز والعراق.

الثانية: فيتولاها عبد الملك بن مروان الذى تولى عقب وفاة أبيه، ولم تعد تضم إلا الشام ومصر. وقد نجح عبد الملك بن مروان فى ضبط الأمور، والقضاء على الفتن، فانتشل الدولة من الفوضى التى وصلت إليها، وأعاد الأمن والاستقرار إلى ربوعها. لقد ظهر بالكوفة المختار بن عبيد الله الثقفي، وجمع من حوله شيعة على –رضى الله عنه–، وراح يتتبع قتلة الحسين هنا وهناك وقتل منهم الكثير وعلى رأسهم أمير الجيش الذى حارب الحسين " عمر بن سعد بن أبى وقاص"، وقتل "عبيد الله بن زياد" أمير العراق الأموى، وشتت جيشًا قوامه (40) ألفًا، كما قتل "الحصين ابن نمير" واستولى على الموصل، وراح يدعو لمحمد بن الحنفية ابن الإمام على كرم الله وجهه، وينابيه بالإمام المهدى يريد المهدى المنتظر[2]. لقد انتشر نفوذ الشيعة فى شرق الدولة وكان هذا

---

(1) ابن أعتم الكوفي ،أبو محمد أحمد الكوفي ، مرجع سبق ذكره، ص 122.

(2) علي محمد الصلابي، خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، جمع وتحقيق يحيي الجبوري، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1394هـ، ص 34.

العامل هو المعول الذى مهد لزوال الدولة الأموية على مر الزمن! وقد عمد الشيعة فى ذلك الوقت وعلى رأسهم المختار إلى الانتساب لمحمد بن الحنفية، ليستفيدوا من هذه النسبة فى اكتساب مزيد من المؤيدين الناقمين على بنى أمية والثائرين من أجل المطالبة بدم الحسين وآله. والمعروف أن محمد بن الحنفية كان عالمًا زاهدًا، قد رفض أن يبايع لأحد من الخليفتين ابن الزبير أو ابن مروان، وقال لا؛ حتى يبايع الناس أجمعون فإن بايعوا بايعت. وهكذا فعل عبد الله بن عباس، ولم يكن له مطمع فى الخلافة، أو هدم البيت الأموى أو القضاء على ابن الزبير. ولقد أغضب الدعوة باسم محمد بن الحنفية "عبد الله بن الزبير" فأرسل أخاه "مصعب بن الزبير"؛ ليكون أميرًا على العراق، وأمره بالقضاء على "المختار الثقفى". وقد نجح مصعب فى حصار المختار بالكوفة وقتله، وأصبح الحجاز والعراق لابن الزبير ومصر والشام لعبد الملك بن مروان. وفى سنة 70هـ /690م خرج عبد الملك ابن مروان إلى العراق لأخذها من الزبيريين، وتدور بينه وبين مصعب عدة معارك، وأخيرًا يتمكن "عبد الملك بن مروان" من القضاء على "مصعب ابن الزبير" فى معركة "دير الجاثليق" وكان ذلك سنة 71هـ/691م وقيل: سنة 72هـ/692م[1]. المهم أن عبد الملك بعد مقتل "مصعب ابن الزبير" دخل "الكوفة" معقل الزبيريين، وأخذ البيعة من أهلها لنفسه، وولَّى ولاة من قِبله على العراق. الحجاج وابن الزبير: ولم يبق إلا الحجاز يسيطر عليه عبد الله بن الزبير من مكة، وقد حانت الساعة الفاصلة، ساعة الحزم والحسم، فأمر عبدالملك ابن مروان "الحجاج بن يوسف الثقفى" الذى يمكن أن يتخذ من الطائف مسقط رأسه قاعدة لعملياته الحربية– أن يتصدى لعبد الله بن الزبير المتحصن بمكة المكرمة. وتحرك جيش الحجاج من الطائف إلى مكة فحاصرها كما فعل الحصين بن نمير من قبل، وقذف ابن الزبير بالمنجنيق، وظل

(1) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 35.

يضيق على ابن الزبير وأنصاره الخناق حتى تفرق عنه معظم أنصاره، لكن ابن الزبير ظل يقاوم رافضًا أن يستسلم حتى قتل سنة 73هـ/ 693م، وكانت خلافته تسع سنين. وبمقتل ابن الزبير دخلت الحجاز من جديد تحت حكم بنى أمية، وكوفئ الحجاج بأن ظل واليًا على الحجاز من قبل عبد الملك ابن مروان حتى سنة 75هـ/ 695م[1].

خلافة الوليد بن عبد الملك (86 – 96 هـ/705– 714م):

توفى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان سنة 86هـ/ 705م وخلفه ابنه الوليد، وكان أبوه قد عهد إليه بالخلافة، وبويع له بها يوم وفاة أبيه. وكان عهده، عهد فتح ويسر وخير للمسلمين، لقد اتسعت فى أيامه رقعة الدولة الأموية شرقًا وغربًا، فعندما تولى الوليد الحكم استعمل عمه عبد الله بن مروان على إفريقية، فعزل حسانًا واستعمل بدلا منه موسى بن نصير عام 89هـ، فكان شديدًا وصارمًا على البربر الذين طمعوا فى إفريقية بعد مسير حسان عنها فوجه إليهم ابنه عبد الله، فقَتل وسبى منهم خلقًا كثيرًا، وتوجه إلى جزيرة "مايوركا"، فاقتحمها وسبى أهلها، وتوجه إلى طائفة أخرى من البربر، فأكثر فيهم القتل والسبى، حتى بلغ الخمس "ستين ألفًا من السبى"، فلم يكن سبى أعظم منه، ثم خرج غازيًا طنجة يريد من بها من البربر، فانهزموا خوفًا منه، فتبعهم وقتلهم، واستأمن من بقى منهم[2]، ودخلوا فى طاعته، وترك عليهم وعلى طنجة مولاه "طارق بن زياد" وأبقى معه جيشًا أكثره من البربر، وترك معهم من يعلمهم القرآن والفرائض، حينئذ لم يبق له فى إفريقية من ينازعه. ورأى الوليد أن أهم ما يجب عمله تقوية الأسطول الإسلامى وضرب قواعد البيزنطيين فى صقلية وغيرها من جزر البحر المتوسط المقابلة لإفريقية، لكى يدعم هذا الوضع المستقر للمسلمين فى الشمال الإفريقى الذى أصبح

(1) شبارو، عصام محمد، مرجع سابق، ص 54.

(2) ابن أعتم الكوفي ،أبو محمد أحمد الكوفي ، مرجع سابق، ص 123.

جزءًا من الدولة الإسلامية. لقد دخلت الفتوح الأموية فى شمال إفريقية مرحلتها الختامية سنة 89 هـ/ 708م بتولى إمارة القيروان موسى بن نصير خلفًا لحسان بن النعمان[1]. فلقد أجاد التنسيق بين الأساطيل الإسلامية فى غرب البحر المتوسط، وبين قواته البرية، وفتح الأجزاء النائية، كما رأينا، وهى التى تعرف باسم المغرب الأقصى، وطرد البيزنطيين من قواعدهم البحرية القريبة من سواحل إفريقية "تونس"، وعندئذ أصبح شمال إفريقية الجناح الأيسر للدولة الإسلامية فى عهد الأمويين، وأصبح أهلها دعاة للإسلام يسهمون فى نشره فيما جاورهم من بلاد. وقد عهد موسى بن نصير إلى طارق بن زياد بالقيادة العليا للقوات الإسلامية، وهو من أبناء البربر المسلمين فى مدينة "طنجة". وجاءت هذه الخطوة من جانب موسى بن نصير، دليلا على سمو وعلو مبدأ المساواة فى الإسلام، فقد رأى البربر أن أحد أبناء إحدى القبائل البربرية صار القائد العام لجبهة المغرب الأقصى. وكان من نتيجة هذا العمل أن أتاح للدين الإسلامى الحنيف دماء جديدة هيأت له الانطلاق إلى فتح الأندلس، ونشر نوره على أرجاء هامة من غرب أوربا[2].

خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية 96هـ – 99)هـ 717-674/م)

الخليفة الأموي السابع، وهو يعد من خلفاء بني الامية الاقوياء، ولد ب دمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام 96هـ. ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة شهور. (حكم: 96–99 هـ/715–717 م)[3].

---

(1) علي الصلابي، مرجع سابق، ص 36.

(2) ابن أعتم الكوفي ،أبو محمد أحمد الكوفي ، مرجع سابق، ص 125.

(3) محمد ضيف الله بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، عمان، الأردن، دار الفرقان، 1999م، ص 219.

كان الناس في دمشق يسمونه مفتاح الخير ويحبونه ويتباركون به اشاع العدل وانصف كل من وقف ببابه، والخليفة سليمان بن عبد الملك يتصف بالجمال والوقار عظيم الخلقة طويل القامة أبيض الوجه مقرون الحاجبين فصيحآ بليغآ، عمل في فترة تولية الخلافة كل مافيه مصلحة الناس وحافظ على اتساع وقوة الدولة الأموية وأهتم بكل مايعني الناس أطلق الأسرى وأخلى السجون واحسن معاملة الجميع فكسب محبتهم وكان من اعدل خلفاء بني أمية والمسلمين واستخلف عمر بن عبد العزيز من بعده.

خلافة عمر بن عبد العزيز (99- 101هـ / 717 – 719م)

خلافة سليمان بن عبدالملك (96 – 99هـ/ 714- 717م) لم تطل خلافته كثيرًا، فأوصى بالخلافة من بعده "لعمر بن عبد العزيز" عامين، ابن عمه بدلا من ابنه أيوب لما عرف فيه من ورع وعدل، خلافة عمر بن عبد العزيز (99 -101 هـ/ 717- 719م)[1] ورأى الخليفة الجديد سحب "الحملة الثالثة" من على أبواب القسطنطينية بعد أن استمرت اثنى عشر شهرًا تحقق فيها إذلال "إمبراطورية الروم" التى كانت مصدر خطر على الدولة الإسلامية، وشل نشاطها الحربى المعادى للدولة الإسلامية، وعادت الحملة الأموية الثالثة والأخيرة فى نهاية سنة 99هـ/ 718م. وتفرغ عمر لإقامة الحق والعدل وإشاعة الخير والسلام فى ربوع البلاد الإسلامية، راح يرفع المظالم عن الناس، ويعمل على إنصاف كل من ظلم فى عهود سابقيه من بنى أمية، وتعويض كل من حرم، ويعيد عهد جده "عمر بن الخطاب[2]" الخليفة العادل الذى ملأ الدنيا عدلا، وراح يتشبه به فى زهده، وتقشفه، وإيمانه بالله، وتمسكه بكتابه، وسنة رسوله (لقد راح يحض الناس على مكارم الأخلاق، ويفرض العقاب الصارم على أى عدوان مهما صغر وحقر؛ ليقطع دابر الفساد، ويعيد الأمن والأمان إلى ربوع البلاد. وامتد عدله إلى الأطراف البعيدة، وشمل أهل البلاد المفتوحة من غير المسلمين، الذين لهم عقد ذمة، وعهد مصالحة ؛ فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. لقد رفع الجزية عمن أسلم من أهل

(1) محمد ضيف الله، مرجع سابق، ص 52.

(2) محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، دارالاحياء 1963، ص 66.

الذمة، وخفف الضرائب عن عامة المسلمين، وأصدر أمره بأن يوقف تحصيل خراج الأرض من المصريين لمدة عام تعويضًا لهم عما زيد عليهم فى أعوام سبقت. ورأى أن المؤلفة قلوبهم قد استغنى الإسلام عنهم، وراح يرفع الأعباء عن أهل العراق وخراسان والسند التى كان الحجاج وأتباعه قد فرضوها على بعض من اعتنقوا الإسلام. وراح يشجع أهل البلاد المفتوحة على قبول الإسلام والانضواء تحت لوائه، وتحبيبه إليهم بكل الوسائل، لقد هدأت أعصاب الناس، وراحوا جميعًا يفكرون فى الخير حتى الخوارج فى العراق والمشرق وإفريقية أقلعوا عن حركاتهم الثورية، وأرسلوا لـ "عمر" من يناظره فأفسحوا المجال للحجة والدليل بدل السيف والحرب. لقد كانت فترة خلافته هى فترة التقاط الأنفاس، ولم الشمل، وجمع الكلمة، والدفع بالتى هى أحسن، إنه لم يكن يود توسيع رقعة الدولة أكثر مما وصلت إليه، وحسبه أن يعمل على تدعيمها وتوطيدها، وقد فعل وتحقق له ما أراد. وتوفى –رحمه الله– فى رجب من سنة 101هـ/ 720م، وكانت هذه الفترة القصيرة من خلافته نقطة مضيئة فى دولة بنى أمية، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر[1].

خلافة يزيد بن عبد الملك (101 – 105 هـ/ 719– 723م):

تولى "يزيد بن عبد الملك بن مروان" الخلافة عقب وفاة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وظل فى الحكم خمس سنوات من سنة 101هـ/ 720م إلى سنة 105هـ/ 724م. وإذا كانت قوة الخليفة ضرورية للدولة، فإن الدولة الإسلامية قد انتابها الضعف بعد أن تولى أمرها خلفاء ضعاف، هان على الأعداء أمرهم. لقد انتشرت الفتن والاضطرابات فى الداخل، أما فى الخارج فقد كانت قبائل التركمان تضغط فى الشمال، بينما كان دعاة بنى العباس يسعون بنشاط فى تدبيرهم السرى لتقويض دعائم الحكم

(1) موسى لقبال ، تاريخ المغرب الاسلامي، طبعة 1969، ص 86.

الأموى فى الشرق[1]. لقد أعلن "شوذب الخارجى" الثورة على الأمويين، وهزمهم فى عدة معارك، حتى استطاع "مسلمة بن عبد الملك" والى الكوفة القضاء عليه وعلى الخارجين على الدولة معه، وتشتيت شملهم. ويخرج "يزيد بن المهلب بن أبى صفرة" على الخليفة مع الخارجين عليه، ويسير إلى "البصرة"، ثم يواصل السير إلى الكوفة، ولكن الخليفة "يزيد بن عبد الملك بن مروان" يرسل إليه أخاه "مسلمة" بجيش قوى يقضى على الفتنة، ويظفر به[2].

خلافة هشام بن عبدالملك (105 – 125 هـ/ 723– 742م):

ولا يطول الأجل بالخليفة "يزيد بن عبد الملك بن مروان" فيلقى ربه ويخلفه من بعده هشام بن عبد الملك (105 – 125هـ) (724 – 743م). جاء هشام ليواجه "ثوارًا" و"خوارج" خلال حكمه الذى استمر قرابة عشرين سنة. ثار "الحارث بن سريج" بخراسان بتشجيع وتأييد من التركمان (الأتراك) على الخليفة هشام بسبب "الضرائب" التى فرضها على الموالى من الفرس، وبعض الولاة. وسرعان ما انضم إليه فى ثورته هذه خلق كثير من العرب وغيرهم. وراح يستولى على المدن الواقعة على ضفاف "نهر سيحون"[3]. ويصدر الخليفة الأمر إلى "أسد بن عبد الله القسرى" بتولى أمر هذه البلاد، ومواجهة الخارجين. وأخذ الحارث يتراجع أمام "أسد بن عبدالله" الذى أُمِرَ أن يطارده، ويسترد منه البلاد التى استولى عليها، فانسحب الحارث إلى "طخارستان" ومنها إلى بلاد "ما وراء النهر"؛ حيث انضم إلى الأتراك ضد الدولة الأموية، وكان من أمر الخارجين

---

(1) محمد عبد الحميد الرفاعي، الطابع الإسلامي للدولة الأموية، طبعة دار الثقافة العربية، القاهرة 1992م، ص 213.

(2) الراوى ثابت إسماعيل ، مرجع سابق، ص 32.

(3) نادية محمود مصطفى، الدولة الأموية دولة الفتوحات، الجزء الثامن من موسوعة العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي –ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1966م، ص7.

أيضا على الدولة فى عهد "هشام" بمواجهة "زيد ابن على بن الحسين" وأنصاره، ويقتل يوسف الثقفى والى العراق السابق الثائر. وكان عهد هشام يعتبر حدّا فاصلا بين عهد ازدهار الدولة الأموية وعلو شأنها وبين عهد اضمحلالها، وانتشار العوامل الفتاكة فى جسمها[1]، إن الخليفة "هشامًا" يمثل رابع الخلفاء الأمويين الأقوياء الكبار بعد "معاوية بن أبى سفيان" و" عبد الملك بن مروان" و"الوليد بن عبدالملك"، لقد استطاع أن يسير على نهجهم فى القبض على شئون الدولة بحزم وعزم وقوة، وأن يكبت جميع عوامل الفتن التى سبق أن أظهرت عداءها، وأطلت برأسها. تُرى من يخلفه بعد أن قاد السفينة فى مجرى الأيام والأعوام لتصل إلى عام 125هـ/743[2].

قائمة الخلفاء الأمويين في الفترة من 125هـ – 132هـ.

يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وهو الخليفة الأموي الثاني عشر توفي بعد توليه الخلافة بقليل، سمي بيزيد الناقص لأنه أراد أن يقتدي بعمر بن عبد العزيز فأنقص رواتب الجيش أسوة بعمر بعد أن كان يزيد الثاني الخليفة الأموي التاسع قد زادها بعد توليه الخلافة، تولى الحكم بعد قيامه بانقلاب على ابن عمه الوليد بن يزيد اذ تحرك من ضاحية المزة إحدى ضواحي دمشق وسيطر على المسجد الجامع وأرسل قائدا من عنده استطاع القاء القبض على الوليد الثاني في قصره وقتله. كانت نفسه تميل للإصلاح وكان متقشفا، ولى عهده أخوه وكانت خلافته من 126هـ إلى 126هـ فلم يدم حكمه أكثر من ستة أشهر.

إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، و كان يلقب بصلبان باسم مجنون، و كان عندهم بدمشق ، ثم قدم مروان بن محمد دمشق، و راوده على أن يخلع نفسه بعد أن قاتله مروان فسمي المخلوع، و بقي بعد ذلك مدة إلى أن مات بدمشق، و قد قيل :

(1) نادية محمد، مرجع سابق، ص 8.

(2) الراوى ثابت إسماعيل، مرجع سابق، ص 33.

إن مروان بن محمد هو الذي قتله و صلبه، و كان اليوم الذي خلع فيه إبراهيم بن الوليد يوم الإثنين لأربع ليلة خلت من شهر صفر سنة سبع و عشرين و مائة وكانت خلافته من 126هـ إلى 126هـ ، و بقي في الخلافة ثلاثة أشهر[1].

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية هو آخر خلفاء بني أمية في دمشق .يلقب بمروان الحمار لكثرة ما كان يلاقية من متاعب وأحمال كثيرة من الثوار والخوارج أعداء الامة ، تولى الخلافة (رحمه الله) بعد ابن عمه إبراهيم الذي تخلى عن الخلافة له. يكنى بأبي عبد الله القائم بحق الله، فإنه كان لا يفتر عن محاربة الخوارج وكانت خلافته من 127هـ إلى 132 هـ[2].

(1) (الطبري) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الأكملي ابن جرير، تاريخ الطبري، القاهرة، طبعة دار الحسينية، 1336هـ، الطبعة 4، ص 259.

(2) نفس المصدر، ص 260

المبحث الثاني

الفتوحات الإسلامية في الدولة الأموية

حرب السنوات السبع:

كان معاوية يدرك خطر البيزنطينين فبعث بحملة ثانية ضد القسطنطينية، وعمل جاهدًا على تدمير قوتهم. لقد دام الحصار للقسطنطينية سبع سنوات (54 – 60 هـ / 674 – 680م)[1]، وكان التعاون قائمًا بين القوات البحرية والأسطول الإسلامى، فقد اتخذ الأسطول مقرّا له فى جزيرة "أرواد" قرب مياه القسطنطينية، وبمطلع الربيع، تم إحكام الحصار، فانتقلت القوات البرية لإلقاء الحصار على أسوار العاصمة، على حين تولت سفن الأسطول حصار الأسوار البحرية. وباقتراب فصل الشتاء نقل الأسطول قوات المسلمين إلى جزيرة "أرواد" حماية لها من برد تلك الجهات القارص، ثم عاد فنقلها لمتابعة الحصار بمطلع الربيع. ولم تستطع هذه " الحملة الثانية" اقتحام القسطنطينية بسبب مناعة أسوارها، وما كان يطلقه البيزنطيون على سفن الأسطول الإسلامى من نيران، فانتهى الأمر بعقد صلح بين المسلمين والبيزنطيين مدته ثلاثون عامًا، عام 56هـ / 676م[2]. وبرغم عجز هاتين الحملتين عن الاستيلاء على القسطنطينية فإنهما حققتا أهدافًا واسعة، فلقد تخلى أباطرة الروم عن مشاريعهم وأحلامهم القديمة فى استعادة مصر والشام، وغيرهما من الأراضى التى كانت تابعة لهم من قبل، وعلموا أن جيوش الإسلام باتت قوية، وراحت تدق أبواب عاصمتهم بعنف، لقد زلزلت القوات الإسلامية

---

(1) إسماعيل محمود ، قضايا في التاريخ الإسلامي ، منهج وتطبيق ،دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب ، ط2، 1981م، ص 102.

(2) رمضان عبد التواب، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، القاهرة، دار المعارف، 1983م، ص96.

إمبراطوريتهم نفسها، وشلت نشاط القوات البيزنطية، وقلمت أظفارها، مما أتاح للأمويين بسط رقعة الدولة شرقًا وغربًا.

الفتوحات فى الميدان الشرقى:

إن الفتوحات التي توقفت أواخر خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان –رضى الله عنه– قد استأنفها الأمويون، فعندما تولى معاوية الحكم بعث الجيوش لنشر الإسلام فى مواطن جديدة سكنها الأتراك فى بلاد ما وراء النهر، وإلى بلاد الهند التى كانت موطن حضارة من أقدم الحضارات فى جنوب شرق آسيا. وفى بلاد الشرق، حيث كان زياد بن أبيه واليًا على تلك البلاد من قِبَل معاوية بن أبى سفيان، غزا المسلمون أفغانستان فسقطت "كابول" فى أيديهم سنة 44هـ– 664م، وعبروا نهر جيحون، واستولوا على بخارى سنة 54هـ – 674م، ثم على سمرقند سنة 54هـ – 676م، ثم واصلوا زحفهم حتى نهر سيحون، وذلك على يد قادة من شباب الإسلام مثل محمد بن القاسم الثقفى وقتيبة بن مسلم الباهلى وغيرهما[1].

الجهاد فى الميدان الغربى:

وانطلقت الفتوحات الأموية منذ ولى معاوية بن أبى سفيان نحو الميدان الغربى فى البلاد التى تلاصق مصر من جهة الغرب، وتمتد من "برقة" إلى المحيط الأطلسى، وكانت معروفة عند العرب باسم بلاد المغرب، وكان يسكنها أناس عرفوا باسم البربر، وهم ينتمون فى أصلهم إلى العنصر الليبى القديم الذى يرتبط مع الأصول التى ينتمى إليها المصريون القدماء[2].

---

(1) حركات إبراهيم، السياسة والمجتمع في العصر الأموي، المغرب، دار الآفاق للطباعة والنشر، ط1، 1990م، ص 176.

(2) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية 41هـ – 132، القاهرة، دار صادر، 2010م، ص 152.

وكان هؤلاء البربر ينقسمون بحسب مسكنهم إلى قسمين:

حضر يزرعون الأرض ويعيشون مستقرين قرب الساحل، وعلى سفوح الجبال الخصبة، واشتهروا باسم "البرانس". وبدو يرعون قطعانهم من الماشية فى الصحاري، وعرفوا باسم "البتر"[1].

عقبة فى بلاد المغرب:

وأسند الخليفة معاوية بن أبى سفيان فتح تلك البلاد وإفريقية سنة 50هـ 670م، إلى "عقبة بن نافع الفهرى"، الذى كان مقيمًا ببرقة منذ أن فتحها عمرو بن العاص أثناء ولايته الأولى على مصر، فكان عقبة من أكثر الناس خبرة ودراية بأحوال هذه البلاد، وعهد إليه معاوية بقيادة بعض السرايا الحربية التى توغلت فى شمال إفريقية، ورأى عقبة أن أفضل الطرق لفتح بلاد المغرب يقتضى إنشاء قاعدة للجيوش العربية فى المنطقة التى عرفها العرب باسم إفريقية، وهى جمهورية تونس الحالية. واستطاع عقبة تنفيذ مشروعه حين انطلق بجيوشه إلى إفريقية واستولى عليها، لقد اختار موقعًا يلتقى عنده "البرانس" و "البتر" وأقام عليه قاعدته التى سماها "القيروان[2]".

وشرح عقبة أهدافه من تأسيس القيروان قائلا لجنوده: وأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها (أى بأفريقية) مدينة نجعل فيها عسكرًا، وتكون عز الإسلام إلى أبد الدهر. وكان عقبة بن نافع صادق الإيمان، فيروى أنه لما بدأ فى بناء القيروان، وكان مكانها مكان ملتف بالشجر تأوى إليها السباع والوحوش والحيات العظام، فدعا الله تعالى فلم يبق فيها شىء من ذلك، حتى إن السباع صارت تخرج منها تحمل أولادها، والحيات

(1) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، موسوعة سفير للتاريخ الإسلاميّ،المرجع السابق، ص 118.

(2) الراوى ثابت إسماعيل، مرجع سابق، ص 210.

يخرجن هاربة من أحجارهن، ولما رأى البربر ذلك أسلم منهم عدد كبير. الأحوال الداخلية للدولة: [1]

الفتنة:

ما كاد يزيد يتسلم زمام الحكم حتى واجه نفرًا من المسلمين يمتنعون عن مبايعته، ثم ما لبثت معارضتهم لبيعته أن تحولت إلى ثورة مسلحة. وكان يزيد قد طلب من أمير المدينة المنورة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان الحصول على البيعة من الحسين بن على، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، لكن الحسن وابن الزبير رفضا، وخرجا من المدينة إلى مكة، وتوقف ابن عمر فقال: إن بايع الناس بايعت. فلما بايع الناس بايعه ابن عمر، وتعقَّد الموقف فى الحجاز. وعلم أهل العراق برفض الحسين مبايعة يزيد وتوجهه إلى مكة، فوجدوا الفرصة سانحة للتخلص من الأمويين وإعادة الدولة كما كانت فى عهد على؛ ليتولى أمرهم الحسين بن على، فهو أحب إليهم من يزيد بن معاوية! وبقاء الحكم فى العراق أحب إليهم من بقائه فى الشام. فأرسلوا رسلهم إلى الحسين، ليحرضوه على المطالبة بالخلافة[2]، ويطلبوا منه المسير إلى الكوفة، فبعث الحسينُ ابنَ عمِّهِ "مسلم بن عقيل بن أبى طالب" إلى الكوفة ليتبين الموقف؛ وليمهد له الأمر، حتى إذا رأى إجماع الناس على بيعته أسرع بإحاطته علمًا بذلك، وعندما أقبل "مسلم بن عقيل" على الكوفة رأى من أهلها إقبالا ورغبة فى مبايعة الحسين، فبعث إليه على الفور يستعجل قدومه. لكن الأمويين كانوا قد أحيطوا علمًا بما يدور فى الكوفة فأرسلوا على الفور عبيد الله بن زياد واليًا عليها ليحفظ الأمن والنظام، وليضبط الأمر على النهج الذى اتبعه والده زياد من قبل أيام الخليفة معاوية بن أبى سفيان، استطاع عبيد الله أن

(1) الراوى ثابت إسماعيل ، مرجع سابق، ص 211.

(2) البلازري، معجم البلدان، مرجع سابق، صـ178.

يُحكم سيطرته على البلاد ويخرس الألسنة التى تنادى بالحسين خليفة، ويقتل قادة الدعوة الحسين، ومن بينهم "مسلم بن عقيل" وتحرك ركب الحسين إلى الكوفة فى هذا الجو المتأزم الملبد بالغيوم، فنصحه كبار الصحابة وكبار شيعته مثل أخوه: محمد بن الحنفية، وعبد الرحمن بن الحارث المخزومى، وعبد الله بن عباس، ليصرف النظر عن الذهاب إلى العراق، وعدم الاطمئنان لما نقل إليه من موافقة أهلها على مبايعته، غير أن الحسين –رضى الله عنه– لم يستمع لنصح الناصحين[1].

حادثة كربلاء:

خرج –رضى الله عنه– فى جماعة من شيعته لا يزيدون عن ثمانين رجلا، ومعه نساؤه وأطفاله قاصدًا الكوفة دون أن يعلم بما حدث ! فلما بلغه ما حدث لم يتراجع، بل واصل المسير وكانت القوات الأموية فى انتظاره، ولم يكن اللقاء متكافئًا. وفى "كربلاء" التحم الفريقان، فسالت الدماء وسقط الحسين شهيدًا بالقرب من الكوفة يوم عاشوراء فى العاشر من المحرم سنة 61هـ / 681م، وتخلص يزيد من أحد منافسيه الأقوياء، وبقى عبد الله بن الزبير[2].

مواجهة عبدالله بن الزبير:

ذهب عبدالله إلى مكة محتميًا بها، وسمى نفسه العائذ بالبيت. فلما بلغه استشهاد الحسين أخذ البيعة لنفسه من أصحابه فى وجود والى مكة الأموي "عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق" الذى كان فى استطاعته أن يتغلب على ابن الزبير، لكنه كان يرفق به. فماذا يفعل يزيد، وقد لجأ ابن الزبير إلى الحمى ؟! ولى على الحجاز الوليد بن

---

(1) البلازري، معجم البلدان، المرجع السابق، صـ179.

(2) السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين، المطبعة التجارية الكبري، القاهرة ، ط3 ، 1383هـ – 1964م، ص 156..

عتبة بن أبى سفيان الذى اشتد على "ابن الزبير" فلم يجد ابن الزبير بدّا من اللجوء إلى حيلة معقولة؛ لكى يتخلص من الوليد. وهداه تفكيره إلى أن يطلب إلى يزيد تغيير هذا الوالى حتى يتسنى له أن يفكر فى مصالحته. وسرعان ما استجاب يزيد، فعزل الوليد وعين مكانه "عثمان بن محمد بن أبى سفيان". وقد نجحت حيلة ابن الزبير، فعثمان كان شابّا صغيرًا لم تصقله التجارب، ولا خبرة له بسياسة الناس وقيادتهم، فأساء من حيث أراد الإصلاح[1] لقد أرسل وفدًا من أشراف أهل المدينة إلى دمشق ؛ لكى يرى الخليفة بنفسه مدى طاعتهم وولائهم، وأحسن يزيد وفادتهم، وأغدق عليهم، ومنحهم العطايا ليستميل قلوبهم، وليكونوا خير دعاة له إذا رجعوا إلى أهليهم وذويهم، فمن رأى ليس كمن سمع، ولكنهم بعد أن رأوا فى عاصمة الخلافة الجديدة مظاهر البذخ والإسراف، وسمعوا مالا يتفق مع تقاليد الخلفاء الراشدين من مظاهر الترف، عادوا وهم يعلنون بين أهليهم وذويهم أنهم قد خلعوا طاعة يزيد، ثم بايعوا عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر "ابن غسيل الملائكة" وتوجهوا بعد ذلك إلى والى يزيد على المدينة فأخرجوه منها، وحاصروا دار مروان بن الحكم بالمدينة تعبيرًا عن سخطهم ورفضهم لبنى أمية[2]، واستغاث مروان بن الحكم بيزيد، وتأزم الموقف من جديد، فقد أعد يزيد جيشًا ضخمًا من جند الشام، وأسند قيادته إلى مسلم ابن عقبة، ليحمى بنى أمية بالمدينة، وليخضع الثائرين عليه. وعلم أهل المدينة بمقدم الجيش فلم يجدوا بدّا من إخراج بنى أمية إلى الشام بعد أن يأخذوا عليهم العهود والمواثيق ألا يساعدوا عليهم أحدًا. وخرج بنو أمية مطرودين من المدينة، لكنهم تقابلوا مع جيش مسلم بن عقبة، فطلب منهم أن يشيروا عليه بما ينبغى أن يفعله، فأرشده عبد الملك بن مروان إلى كيفية الزحف على المدينة، والدخول إليها، وزحف

(1) السيوطي، مصدر سابق، ص 157.

(2) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، المكتبة الوقفية، 1978م، ص 231.

مسلم كما أشار عليه عبد الملك، ونفذ الخطة فوصل إلى الحرة شمالى شرق المدينة، وهى أرض صخرية بركانية، فخرج إليه أهل المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة، والتحموا مع جند الخليفة فى معركة شديدة انتهت بهزيمة أهل المدينة، وقتل عدد كبير من بنى هاشم وقريش والأنصار. وفى جو الهزيمة هذا دعا مسلم الناس للبيعة؛ محذرًا من عاقبة المخالفة بعد أن رأوا بأعينهم ما حل بغيرهم. فبعد أن انتهى مسلم من إجبار الناس على البيعة، سار بمن معه من الجند إلى البيت الحرام بمكة؛ حيث يعتصم ابن الزبير، لكن القدر لم يمهله، فتوفاه الله قبل أن يصل إلى مكة. ويتولى على الفور قيادة الجيش الأموى الزاحف على مكة للقاء عبد الله بن الزبير[1]: "الحصين بن نمير السكوني" ، ويواصل مسيرته إلى مكة المكرمة، ويشتد على الثائرين، ولا يمنعه شىء مما يحتمون به، ويستمر الحصار شهرين، وابن الزبير متحصن بالبيت الحرام، وتأتى الأنباء بوفاة الخليفة يزيد، فيتوقف القتال، ويرفع الحصار، ويعود الجيش الأموى إلى الشام، ويخرج ابن الزبير على الناس فتذعن جزيرة العرب كلها له، ويبايعه كثير من أنصار الدولة الأموية وسط العواصف خليفة للمسلمين[2].

الفتوحات الإسلامية فى عهد يزيد:

وبالرغم من الصراعات الشديدة التى حدثت فى عهد يزيد، فإن الفتوحات الإسلامية لم تتوقف، واستمرت فى العديد من الجهات، فهناك فى الشرق واصلت الجيوش الإسلامية فتوحاتها فى خراسان وسجستان تحت قيادة مسلم بن زياد، فغزا سمرقند وجُجَنْدة، أما هناك فى الغرب فقد أعاد يزيد بن معاوية، عقبة بن نافع واليًا على إفريقية، وكان معاوية قد عزله عنها، فواصل عقبة بن نافع فتوحاته بحماس منقطع

(1) السيوطي، مصدر سابق، ص 160

(2) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 232.

النظير وقال: إنى قد بعت نفسى لله–عز وجل–، فلا أزال أجاهد من كفر بالله. ففتح مدينة "باغاية" فى أقصى إفريقية، وهى مدينة بالمغرب، وهزم الروم والبربر مرات عديدة، ثم واصل المسير إلى بلاد الزاب، فافتتح مدينة "أَرَبَة" وافتتح "تَاهَرْت" و"طَنْجة" و"السُّوس الأدنى"، ثم صار إلى بلاد السوس الأقصى، واستمر فى فتوحاته حتى بلغ "مليان"، حتى رأى البحر المحيط (المحيط الأطلنطى) فوقف عليه وقال مقالته التى حفظها له التاريخ: يا رب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهدًا فى سبيلك. ثم عاد راجعًا إلى القيروان[1].

مصر فى حوزة الأمويين:

وبعد أن استقرت الأمور فى دمشق توجه مروان إلى مصر على رأس جيش قوى، ودخلها سنة 65هـ/685م وكان عليها عبد الرحمن بن جحدم القرشى عاملا لابن الزبير، وولى ابنه عبدالعزيز بن مروان على مصر، وأمده بموسى بن نصير؛ ليكون وزيرًا له ومشيرًا[2]. وعادت مصر للأمويين مرة أخرى بعد انفصال دام تسعة أشهر تحت قيادة أنصار ابن الزبير. وبقى الحجاز والعراق فى يد ابن الزبير بعد أن دانت الشام ومصر للأمويين. لقد كانت مصر على اتصال بالحجاز فى عهد عبدالله بن الزبير، تمده بما يحتاج إليه من الغلال، فلما خضعت ثانية للأمويين حرم الحجاز مما كانت مصر تمده به، وتأثر موقف ابن الزبير فى الحجاز بهذا الوضع الاقتصادى، وفى هذا الوقت كان مروان بن الحكم يعمل على تنفيذ خطوات محسوبة بدقة وإحكام، لقد أعد جيشين: أحدهما إلى الحجاز للقضاء على عبد الله بن الزبير، أما الجيش الآخر فقد

(1) ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد مصطفي عبد القادر ، دار الكتب العلمية بيروت، ص 321.

(2) ابن أعتم الكوفي ،أبو محمد أحمد الكوفي ، مرجع سابق، ص 121.

سيره إلى العراق للقضاء على مصعب بن الزبير شقيق عبد الله ووالیه هناك. ويشاء الله أن تحل الهزيمة بجيش الحجاز، وألا يقوم جيش العراق بشىء يذكر فى حياة مروان الذى عاجلته المنية سنة 65هـ – 585م، بعد أن عهد بالخلافة لابنيْه عبد الملك، ثم عبد العزيز[1].

ثورات ابن الأشعث:

ولا يكاد عبد الملك بن مروان يلتقط أنفاسه ليتفرغ للبناء والتعمير، ومواصلة الفتوح حتى يرى أن جماعات الشيعة فى مدن العراق مثل الكوفة تشكل خطرًا على الدولة؛ بسبب قربها من بلاد فارس، التى رأى أهلها فى الشيعة خير سبيل لتحقيق أطماعهم القومية فى ضرب الأمويين باعتبارهم ممثلين للعنصر العربى وسلطانه فى الدولة الإسلامية، وركز الفرس نشاطهم فى سبيل وصول أبناء الحسين بن على بن أبى طالب إلى منصب الخلافة، مدعين بأنهم من سلالة الحسين؛ وذلك لأنه تزوج من شهر بانوه بنت يزدجرد الثالث آخر أكاسرة الفرس، وزعموا أن تلك السلالة من أبناء الحسين تجمع بين دم عربى، وأشرف دم فارسى[2]. وتصدى الحجاج بن يوسف لهذه الفتنة مرة أخرى، ويحقق الأمن والاستقرار فى ربوع البلاد. ويصدر الأمر من الخليفة الأموى بأن يتولى الحجاج أمر العراق والمشرق الإسلامى، ويسير إليها فى جيش من أهل الشام. وكان الحجاج شديدًا عنيفًا، فراح يواجه عدة ثورات كانت إحداها بقيادة "عبد الرحمن بن الأشعث". وتدور معارك شرسة مثل "دير الجماجم" بين الجيش الأموى وبين جيش ابن الأشعث، يتبادل فيها الفريقان النصر والهزيمة، وتستمر سجالا بينهما فى أكثر من ثمانين موقعة، تدور الدائرة بعدها على ابن الأشعث، فيهرب إلى بلاد الهند. ولكن

(1) ابن اعتم الكوفي، نفس المرجع، ص 122.

(2) نفس المرجع، ص 123

الحجاج يرسل من يلاحقه ويتابعه حتى يأتى إليه برأسه فى الكوفة. وهكذا استطاع الحجاج إخضاع بلاد العراق وما والاها من بلاد المشرق لسلطان عبد الملك بن مروان، وبهذا توطدت دعائم الدولة فى عهده، وانتشر الأمن فى البلاد، ويتفرغ عبد الملك لجانب من الإصلاح الداخلى، فيصدر أمره بصك الدنانير الإسلامية، عليها شهادة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله بسم الله، فكان أول من ضرب الدنانير والدراهم الإسلامية، لتحمل محل العملة البيزنطية فيتحقق للدولة استقلالها المالى والاقتصادى. وأصدر أمره بجعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية التى تكتب بها الدواوين فى أرجاء الدولة، وينفذ ابنه عبد الله بن عبدالملك بن مروان والى مصر هذه التعليمات؛ حيث كانت مصر ما تزال تكتب باللغة القبطية، بما أدى إلى انتشار اللغة العربية لغة القرآن والحديث، فهى بلا شك إحدى المقومات الأساسية للدولة الإسلامية. وسوف تظل هذا الخطوة الرائدة صفحة مضيئة يسجلها التاريخ لعبد الملك بن مروان على مر الزمان[1].

الفتوحات الإسلامية فى عهد عبدالملك:

وبعد أن استقرت الدولة فى الداخل، وتم القضاء على الفتن والثورات، راح عبد الملك يواصل ما بدأه السابقون من الفتوحات، ويعمل على تأمين الحدود التى تعرضت للإغارة والمهاجمة والاستيلاء على بعضها من جانب الروم، منذ أن أصدر معاوية أمره إلى الجيش الذى كان يحاصر القسطنطينية بالعودة إلى البلاد، وتمكن عبد الملك من استرداد الثغور الإسلامية، وإخضاع أرمينية، وسواحل سورية، وكثير من الثغور الإسلامية، وفَتْح عدد من حصون الروم منها: "مرعش" و"عمورية" و"أنطاكية"، وأظهر للروم أن الدولة الإسلامية باقية، وأنها لم تضعف ولم تهن! وما كاد عام 62هـ/682م

(1) أبوبكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية و زهادهم، الجزء2، دار الغرب الإسلامي، دون تاريخ نشر، ص 183.

يأتى حتى صدر الأمر بأن يتولى "عقبة بن نافع" إفريقية للمرة الثانية؛ ليواصل حروبه وفتوحاته، ويتمكن من فتح الجزائر، ويتوغل نحو بلاد "السوس" فى المغرب الأقصى. وكان عقبة فى عهد معاوية قد انطلق بجيوشه إلى إفريقية واستولى عليها واختار "القيروان" قاعدة له، ولكن بعد الانتهاء من بناء القيروان صدر قرار بتعديل القيادة العليا بالميدان الإفريقى سنة 55هـ/ 675م[1]. فقد استعمل معاوية بن أبى سفيان مسلمة بن مخلد على مصر وإفريقية، فاستعمل مسلمة على إفريقية مولى له يقال له "أبو المهاجر" فلما وصلها عزل عقبة. وكان معاوية يهدف من ذلك إلى مواجهة الإمبراطورية البيزنطية صاحبة السيادة إذ ذاك على شمال إفريقية، ومحاولاتها إيقاف الزحف الإسلامى المنتظر من القيروان. واستطاع "أبو المهاجر دينار" أن يفسد خطط البيزنطيين باكتساب البربر إليه، ونشر الإسلام بينهم. وتجلّى نجاح هذا القائد حين اكتسب إلى صفوفه زعيم قبيلة البربر وهو "كسيلة" فدعاه إلى الإسلام، فأسلم وترتب على ذلك انتشار الإسلام بين كثير من البربر، فراحوا يتفهمون حقيقة الإسلام، ويقبلون عليه، وراح الفتح الإسلامى فى شمال إفريقية يمتد وينتشر. ولكن الفتوحات الإسلامية تتعرض لأول نكسة خطيرة لها لعدم معرفة نتيجة السلطة المركزية فى "دمشق" بالتطورات التى طرأت على السياسة البيزنطية فى تلك البلاد، فعندما أعادت السلطات "عقبة بن نافع" سنة 62هـ/682م إلى القيادة العليا للميدان الإفريقى، ووصل إلى "القيروان" قاعدته الحربية التى أنشأها من قبل[2]، انطلق منها لممارسة المهمة التى عين ثانية من أجلها، بل إن عقبة لما عاد إلى ولاية إفريقية جازى المهاجر عما فعله به عندما عزله سنة 55هـ- 675م، فقبض عليه

(1) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح افريقيا والأندلس، طبعة 1964 الصادرة عن دار الكتاب اللبناني.، ص 85.

(2) ابن عبد الحكم، نفس المرجع السابق، ص 86.

وأوثقه فى الحديد، وخرج به مكبلا فى زحف خاطف، وصل به إلى ساحل المحيط الأطلسى، وعند ذلك النهر الذى تقوم عليه مدينة مراكش اليوم أدخل عقبة بن نافع فرسه فى المحيط وراح يرفع رأسه فى عزة المؤمن، وتواضع المعترف بفضل الله عليه قائلا: "اللهم فاشهد أنى لو كنتُ أعلم وراء هذا البحر أرضًا لخضته غازيًا فى سبيلك"[1]. لكن عقبة فاته أن يستمع إلى أبى المهاجر ونصائحه حول البيزنطيين وسياستهم، ولجوئهم إلى أسلوب الغدر والخديعة والمكر والخيانة، فقد انتظروا حتى عاد قاصدًا القيروان، وكان يسير فى مؤخرة جيشه، وأعدوا له كمينًا وهو فى طريق العودة بالتعاون مع كسيلة –الزعيم البربرى– الذى تحالف مع الروم، وادعى أن عقبة قد عزم على تأديب البربر[2]، لأنه أساء الظن فى حقيقة إسلامهم. والتقى الجميع فى معركة "تهوذة" عام 63هـ/ 683م، وأحاطت قوات البزنطيين بعقبة بن نافع وراح "أبو المهاجر" يدافع عنه دفاع الأبطال ولكنهم تمكنوا من قتله، واستشهد عقبة ولحق بالرفيق الأعلى. وبعثت الخلافة الأموية بجيوش جرارة على رأسها قائد من خيرة قادتها هو "حسان بن النعمان" الذى عمل على تحرير شمال إفريقية تمامًا من البيزنطيين، والقضاء على أساليبهم الغادرة. دخل حسان القيروان سنة 74هـ/ 694م، وبادر بالزحف على "قرطاجنة"، وهى أكبر قاعدة للبيزنطيين فى إفريقية "تونس الحالية" ودمرها تمامًا، ثم طارد فلول الروم والبربر، وهزمهم فى "صطفورة" و"بنزرت" ولم يترك حسان موضعًا من بلادهم إلا دخله بجنوده، ثم عاد "حسان" إلى القيروان، فأقام بها حتى استراح الجيش وضمدت جراح المصابين. واضطر حسان إلى اتخاذ مراكزه فى "برقة" حتى جاءته الإمدادات من مصر سنة 81هـ/

(1) السيد عبد العزيز سالم،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي،الإسكندرية،2013م،مؤسسة شباب الجامعة،211.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ص 302.

700م[1]، فخرج بالجيوش لملاقاة جيوش البربر بقيادة امرأة منهم تدعى الكاهنة، واستطاع الانتصار على البربر، وأعاد القيروان إلى حضن الإمبراطورية الإسلامية. وأخذ حسان يعمل بعد ذلك على تدعيم الفتوحات الإسلامية بشمال إفريقية، فأسس قاعدة بحرية إسلامية باسم "تونس". واستعان بعمال مصر وخبرتهم فى بناء تلك القاعدة، ثم أقبل حسان على إفساد خطط البيزنطيين، وراح يعمل للقضاء على مكرهم وألاعيبهم. فحبب الإسلام وزينه فى قلوب أبناء الكاهنة، ثم قربهم إليه، وجعلهم فى الرئاسة العليا على أبناء قبيلتهم، مبينًا لهم أن العزة لله ولرسوله وللمسلمين، وأن الإسلام يستهدف عزة أبناء إفريقية وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهكذا عادت إفريقية إلى الإسلام والمسلمين. وعلى الجانب الآخر، فى خراسان، تابع "المهلب بن أبى صُفرة" أمر الفتوح فى تلك البلاد بعد أن أسند إليه الحجاج ولايتها! لقد فتح خُجَنْدة وغزا "كَشّ" سنة 80هـ/699م[2]، واتخذها مركز القيادة، وأرسل منها أولاده لغزو كثير من البلاد، لكنه مات فى شهر ذى الحجة على مقربة من "مرو" وتولى ابنه يزيد بعد أبيه، فاستهل عهده بغزو "خوارزم". ويأتى عام 85هـ- 704م فيتولى "المفضل بن أبى صفرة" أمر خراسان ويفتح "باذغيش" و"أخرون" "وشومان"، لكن الحجاج سعى بآل المهلب لدى عبد الملك حتى لا يولى منهم أحدًا، واتهمهم بأنهم كانوا من أتباع عبد الله بن الزبير، وأشار على "عبد الملك" بأن يولى قتيبة بن مسلم الباهلى على خراسان، وهو من باهلة التى تنتمى إلى قيس، وبذلك يستطيع أن يجذب إليه القيسيين فى خراسان. ووصل قتيبة بن مسلم إلى "مرو" فى نهاية سنة 85هـ/704م. ولكنه لم يكد يستقر فى خراسان حتى وصلت

(1) نفس المصدر، ص 303.

(2) العباس أحمد بن محمد بن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب الناشر : دار الثقافة، بيروت- لبنان. مطبعة البيان،1983م، الطبعة الثالثة، ج1، ص 75.

الأنباء فى سنة 86هـ/705م بوفاة الخليفة عبد الملك بن مروان رحمه الله رحمة واسعة[1].

فتح الأندلس:

سنة 91هـ / 710م، حيث استشار موسى بن نصير الخليفة الوليد بن عبد الملك، فى فتح الأندلس "أسبانيا"، وعلى أثر الموافقة أرسل موسى سرية استطلاعية بقيادة طريف بن مالك، وكان من البربر، فشن غارة على جنوب أسبانيا، ومعه أربعمائة مقاتل ومائة فرس، واستطاع أن يتوغل بهم فى الجزيرة الخضراء، ويعود إلى ساحل إفريقية حاملا الكثير من الغنائم، وكان ذلك فى رمضان سنة 91هـ/710م، وقد تأكد له قصور وسائل الدفاع فى أسبانيا بل انعدامها، ولقد شجع نجاح طريف في تلك الغزوة القائد الأعلى موسى ابن نصير على التقدم لفتح الأندلس (أسبانيا)، ووقع اختياره على والى طنجة وقائد جيشه طارق بن زياد ليتولى مهمة هذا الفتح العظيم، وفى شهر رجب من سنة 92هـ/711م قام طارق بن زياد ومعه جيش مكون من سبعة آلاف مقاتل بعبور المضيق الذي عرف باسمه[2]، ونجحت عملية العبور، واحتل المسلمون الجبل بكامله. لقد جمع طارق قواته بعد العبور عند هذه الصخرة من جنوب البلاد وهى التي نسبت إليه وعرفت باسم "جبل طارق"، وها هو ذا يندفع بقواته كالسهم، لا يقف في طريقه شئ، ولقد حاول ملك أسبانيا "لذريق" أن يوقف هذا الزحف بجيش جرار قوامه مائة ألف، ولكن طارق بن زياد كان قد طلب المدد من قائده موسى بن نصير فأمده بخمسة آلاف حتى أصبح عدد جنده أثنى عشر ألفًا، واندفع طارق بكل إيمان زاحفًا على القوط –حكام شبه جزيرة أسبانيا، وأنزل بهم هزيمة فادحة فى موقعة رمضانية على نهر لكة "وادى

(1) أحمد أمين، فجر الاسلام، ص 79.

(2) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، طبعة تونس 1968م، ص 42

لكة" بمقاطعة "شَذُونة"، وراح يواصل فتوحاته بعد أن قتل "لذريق"، فأوقع بالقوط الهزيمة الثانية عند مدينة "إِسْتِجَة"، فألقى الله الرعب فى قلوب أعدائه، ففزعوا منه فزعًا شديدًا، وظنوا أنه سيفعل بهم فعل سلفه "طريف بن مالك"، وكان طريف قد أوهمهم أنه سيأكلهم، هو ومن معه، فهربوا منه إلى طليطلة. يا إلهى إن النصر من عندك، هذه الراية الظافرة تتقدم، وتتوغل، ومدن أسبانيا تتهاوى واحدة بعد الأخرى فى يد المسلمين. وها هم أولاء جنود الإسلام ينتشرون؛ حيث قرر طارق وهو فى مدينة إستجة أن يفرق جيشه ويوجهه إلى جهات شتى، فهذه شعبة تتوجه إلى "قرطبة"[1]، فتدخلها وتستولى عليها، وتلك شعبة من الجيش وصلت إلى مدينة "غرناطة"، فدخلتها وملكتها، وشعبة من الجيش تقتحم مدينة "تُدْمِير" فيضطر أهلها إلى مصالحتها، وسار طارق ومعه معظم الجيش إلى مدينة "جيان" يريد "طليطلة" فهرب أهلها وتركوا له المدينة خالية. ويواصل المنتصرون متابعة الفلول المنهزمة، وملاحقتهم حتى "جِلِّيقية" فى أقصى الشمال الغربى من الأندلس، ثم عاد من هناك، وعادت جيوشه إلى "طليطلة" فى سنة 93هـ/712م، وهنا خشى "موسى بن نصير" أن تقطع على الجيش الإسلامى خطوط النقل المواصلات، ويحال بينه وبين قواعده التى انطلق منها، ويقوم العدو بالانقضاض عليه ومحاصرته، والقضاء عليه، فيسرع بإصدار أوامره إلى طارق أن ينتظره فى "طليطلة" حتى يسعى إليه بنفسه هو، ويؤمن خطوطه الخلفية ويلحق به، وعَبرَ موسى بقواته إلى الأندلس، مستهدفًا تطهير الجيوب التى خلفها طارق وراءه، من هنا كان على موسى أن يقوم بتأمين مؤخرة الجيش الفاتح، فافتتح مدنًا وحصونًا كان بقاؤها بين الأسبان خطرًا على الوجود الإسلامى الجديد بشبه الجزيرة حتى وصل إلى "طليطة"، وهناك التقى بجيش طارق بن زياد، وقد استغرق ذلك من موسى جهدًا ووقتًا حتى وصل إليه، وهناك فى "طليطلة"

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3و5 الطباعة الأزهرية، 1301هـ، ص 98.

التقى القائدان طارق وموسى، وراحا ينسقان الفتوح الباقية ببلاد الأندلس فيما بينهما. وسارا معًا حتى بلغا "سرقسطة" على نهر "الإبرو[1]"، ومن هناك سار طارق إلى الشمال حتى بلغ جبال "ألبرت" أى الأبواب، وهى التى تسمى اليوم جبال البرانس ووقف على أبواب فرنسا. وكان ذلك فتحًا عظيمًا، أن ترفرف راية الإسلام، وتقف على أبواب فرنسا فى أقل من مائة عام من هجرة الرسول (! وبينما كان طارق بن زياد يقف على أبواب "فرنسا"، كان موسى يتجه غربًا حتى دخل ذلك الإقليم الذى يطل على خليج "بسكاية" ويسمى "أشتوريس" وانتهى بفتوحاته أخيرًا على ساحل "بسكاية" واستدعى الخليفة الوليد كلا من موسى وطارق إلى دمشق سنة 95هـ/714م، ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن موسى ابن نصير قد أرسل الأسطول الإسلامى لفتح جزيرة "سردينيا" فافتتحوها عنوة، وعادوا بالسبايا والغنائم سنة 92هـ 611م، وتابع ولاة الأندلس من بعد موسى الفتوح، فقام ابنه عبدالعزيز باستكمال فتح شرق الأندلس وغربه، وجعل عاصمته فى مدينة "إشبيلية[2]".

فتح بلاد ما وراء النهر:

وننتقل من جبهة إلى جبهة لنتابع تقدم الراية الظافرة فى أرجاء الأرض، وإذا كنا قد تركناها، وهى ترفرف على أبواب "فرنسا" فها نحن نعود لمتابعتها وهى ترفرف على أبواب "الصين"، كل ذلك كان فى عهد الوليد بن عبد الملك الذى كان عهده خيرًا وبركة على الإسلام والمسلمين. فعندما تولى "قتيبة بن مسلم" خراسان سنة 86هـ/ 705م، اتخذ من "مرو" قاعدة له، تم فتح بلاد النهر –المعروف بنهر جيحون– ودخل المسلمون بلادًا عديدة، سرعان مادخلت فى دين الإسلام ودافعت عنه مثل "الصَّفَد" و"طخارستان"

(1) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، ج2، بيروت 1983، ص 48.

(2) ابن خلدون، مصدر سابق، ص 51.

و"الشاش" و"فَرْغَانة" فى نحو عشر سنين. وأخيرًا، أنهى أعماله الحربية بفتح "كاشغر" فى "التركستان" الصينية سنة 96هـ/ 715م، وصارت الدولة الإسلامية بذلك تجاور حدود الصين[1].

فتح الهند:

لقد فتح المسلمون بلاد "فارس" و "خراسان" و"سجستان"، وكانت غايتهم نشر الإسلام، وحماية الحدود الجنوبية للدولة الإسلامية؛ ولم يبق إلا الهند. وفى عهد الوليد ابن عبد الملك كلف الحجاج بن يوسف الثقفى الشاب المسلم: "محمد بن القاسم" مهمة غزو بلاد الهند، وسار محمد بن القاسم إلى الهند سنة 89هـ/ 708م وفتح ثغر الديبل (إحدى مدن الساحل الغربى للهند)[2]، ثم سار عنه وجعل لا يمر بمدينة إلا فتحها حتى عبر النهر، فصالحه أهل "سربيدس" وفتح "سهبان"، ثم سار إلى لقاء "داهر" ملك السند والهند، وكان لقاء فريدًا. إن "دَاهِر" وجنوده يقاتلون على ظهور الفيلة، والفيلة عندما تستثار تكتسح كل ما أمامها وتدوسه. ودارت معركة حامية كتب الله فيها النصر لراية الإسلام، وهزم "محمد بن القاسم" الملك "داهر" وقتله، وراح محمد بن القاسم يتقدم، ويمد فتوحاته فى كافة أرجاء بلاد السند، حتى وصل إلى "الملتان" ودخلها وغنم منها مغانم كثيرة. ولقى الخليفة الوليد بن عبد الملك ربه سنة 96هـ/ 715م بعد أن رفعت راية الإسلام فى عهده على حدود فرنسا والصين وفى خراسان وسجستان والسند، وبلاد الهند.

سقوط الدولة الأموية:

(1) نفس المصدر، ص 52.

(2) ابن خلدون، المقدمة، نفس المرجع السابق، ص 51.

لقد خلف "هشام" أربعة من الخلفاء الأمويين عجزوا عن ممارسة السلطان، وأفلت منهم زمام الحزم، وأتاحوا الفرصة لعوامل الهدم والاضمحلال، فراحت الدولة الأموية تتهاوى وتسقط سنة 132هـ/750م. وقد كان ظهور العباسيين في هذه الفترة على مسرح الأحداث يمثل ضربة قاصمة أطاحت بالبيت الأموى عن عرش الخلافة الإسلامية. فبعد وفاة الخليفة "هشام بن عبد الملك" بويع "الوليد بن يزيد" بالخلافة فى 6 من ربيع الآخر سنة 125هـ/ 723م[1]، وهو اليوم الذي توفى فيه هشام. وقد كان "الوليد بن يزيد" النموذج الذى يمثل مساوئ نظام وراثة الخلافة، لم يكن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ابنًا لهشام بن عبد الملك بل ابن أخيه. إن نظام الشورى يتيح للجميع وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب حتى يستريح ويريح. ولكن "نظام الوراثة" يأتي لدولة الإسلام "بالوليد" الذي أشاع عنه خصومه أنه كان منهمكًا في الملذات، مستخفّا بأمر الأمة، مشغولا باللهو، مجاهرًا بالمعاصى، وكان الإمام الزهري يبغضه ويحث هشامًا على خلعه. لقد اجتمع بعض أهل "دمشق" على خلعه وقتله لمجاهرته بالإثم، وكان ذلك فى جمادى الآخرة سنة 126هـ/ 744م[2]، بعد أن قضى فى الخلافة سنة واحدة، وشهرين، وأيامًا، وكان الذى يقود الثورة عليه ابن عمه يزيد بن الوليد الذى وصفه أنصاره بأنه كان ورعًا تقيّا محافظًا على الدين راعيًا للإسلام والمسلمين، لكنه لم يَبْقَ فى الحكم إلا خمسة أشهر وعدة أيام حيث مات بالطاعون[3]، وبايع المسلمون بعده أخاه "إبراهيم بن الوليد" خلفًا له، لكنه لم يكد يتولى الأمر حتى سار إليه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ثائرًا للوليد بن يزيد. لقد خلع "مروان" "إبراهيم" وهرب إبراهيم من

(1) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، بيروت، الجزء 2، طبعة 1980، ص 33.

(2) موسي القبال، المرجع السابق، ص87.

(3) موسي القبال، المرجع السابق، ص 88.

دمشق، وظل أتباع مروان يلاحقونه حتى عثروا عليه وقتلوه، ولم يلبث فى الخلافة غير سبعين يومًا وقيل ثلاثة أشهر. وتولى "مروان" الخلافة فى صفر سنة 127هـ/ 745م، ليشهد عهدًا من الفتن والاضطرابات، وفى عهده اضطربت الأمور فى البلاد، وخرج البعض على الطاعة، وانتهز العباسيون هذا التفكك، والتصدع فراحوا يعملون على إسقاط دولة بنى أمية لتقوم مكانها دولة العباسيين، لقد حمل لواء الدعوة للعباسيين أبو مسلم الخراسانى، واستطاع الاستيلاء على "خراسان" ووطد سلطانه فيها. وفى الثالث من شهر ربيع الأول سنة 132هـ/ 750م، استولى أبو مسلم على "نيسابور" وراح يعلن الدعوة لأبى العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس، فماذا فعل مروان؟ وكيف واجه هذا التيار الزاحف ؟ لقد أعد جيشًا للقضاء على العباسيين، وكان اللقاء على "نهر الزاب" ولكن دارت الدائرة على مروان وجيشه، ففر هاربًا إلى مصر، ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل دارت معركة أخيرة حاسمة، لقد لاحقه العباسيون وطاردوه، ودارت معركة أخيرة بينه وبينهم على ضفة النيل الغربى عند بلدة "بوصير"، وقُتِلَ مروان، وبمقتله انتهت دولة الأمويين التى استمرت قرابة إحدى وتسعين سنة ليشهد العالم مولد دولة جديدة تحمل راية الإسلام هى دولة بنى العباس[1].

نريد أن نسجل حركة الانسياح الإسلامي في الأرض، التي تمت في عهد بني أمية منذ عهد معاوية رضي الله عنه، لندحض كل وهم بأن الإسلام قد انتهى بعد عهد الخلفاء الراشدين، فحركة الفتح الإسلامي التي قامت في عهد الخلافة الراشدة وبني أمية ليست مجرد توسع في الأرض، ولا يجوز النظر إليها بهذا الاعتبار، إنما هي حركة أكبر حركة ((هداية)) للناس في التاريخ وأكبر حركة إخراج للناس من الظلمات إلى النور، وقد يبدو هذا الكلام في حس المثقفين لأول وهلة مجرد تشابه مع دعوى كل

(1) عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ص 34.

(دولة عظمى) أنها نشرت الحضارة في الأرض، وأن حركتها التوسعية كانت من أجل نشر تلك الحضارة، فلننظر إذن في تاريخ الإمبراطوريات في القديم والحديث: الإمبراطورية الفرعونية، والإمبراطورية الأشورية، الإمبراطورية الفينيقية، والرومانية، والفارسية، والهندية، والصينية، والبريطانية، والفرنسية، والأمريكية، والروسية، إلى آخر تلك الإمبراطوريات الجاهلية التي يعج بها تاريخ الأرض، كيف قامت أولاً؟ وما نشرت في الأرض؟، فأما قيامها على التسلط بالقوة، وقهر الآخرين وإذلالهم، وإخضاعهم لسيطرة الدولة الأم، وتحويلهم خدماً لتلك الدولة الأم، يمدونهم بالرجال المقاتلين، ويمدونهم بمختلف الخيرات، لتنتفش هي وتشبع وتتخم على حساب الجائعين المقهورين الأذلاء، فهذا أمر لا يحتمل المراء[1].

(1) يوليوس فلهورن، تاريخ الدول العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله من الألمانية الدكتور محمد عبد الهادي أبوريدة، راجع الترجمة دكتور حسين مؤنس بجامعة القاهرة والمعهد المصري بمدريد، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1968م، ص 119.

الفصل الثاني
التركيب السكاني

المبحث الأول: المسلمون (العرب – البربر)

المبحث الثاني: أهل الذمة (النصاري – اليهود)

المبحث الأول

المسلمون العرب والبربر

أولاً: العرب المسلمون:

يجب أن يسجل أن العهد الأموي هو عهد عربي بامتياز في الحكم والثقافة على حد سواء. فخلاله عاد الإهتمام الى الشعر بعد فترة كان الإهتمام فيها منصباً على النص القرآني والحديث النبوي . ولا يغيب عن بالنا أنه كان لدى الرسول شعراء ينافحون عنه بالكلمة، ويردون على النظم الذي يستهدف الدعوة الاسلامية بنظم مماثل. وابرز هؤلاء دون منازع كان شاعره حسان بن ثابت .وعندما استقر العرب في فتوحاتهم، ونظراً للثروات التي انهالت عليهم ظهرت طبقة ارستقراطية ذات رخاء اقتصادي أولت عناية خاصة بفنون القول وأغراضه .وفي غضونها برز عدد من المغنين الذين تنقلوا بين المدن الاسلامية وأسمعوا جمهوراً واسعاً قصائدهم والحانهم. وكان من ابرز المغنين معبد وابن شريح وطويس. كذلك شهدت المرحلة فنون العرض والرقص من جانب القيان والممثلات، ومعظمهن كن من الموالي[1].

وفي العهد الأموي وفي مضمار الشعر ذاع صيت كل من الشعراء: الفرزدق والأخطل وجرير . وتراوحت قصائدهم في معظمها بين الفخر والهجاء، وكان لكل من هؤلاء مؤيده ومفضله على الآخرين. وقد قصدوا بلاط الخلفاء وقصور الأمراء والقوا قصائدهم في حضورهم. ونالوا على كلماتهم عطاءاً وافراً. وقد انقسم الثلاثة في السياسة ونافح كل منهم عن فريقه، سواء كان السلطة بمكوناتها، أو في اطار تمجيد تراث القبيلة العربية[2]، ومن المعروف أن الأخطل ومع أنه كان مسيحياً، لكنه كان مقرباً من

(1) ابن عذاري ، مصدر سابق، ص 108.

(2) نفس المصدر، ص 109.

الأمويين عموماً ومن عبد الملك بن مروان تحديداً . وقد شمل الاهتمام بالشعر الأحزاب السياسية أيضاً. فقد برز العديد من الشعراء ممن يؤيدون آل البيت أو الخوارج وغيرهم من جماعات وفرق.

ويمكن تحديد اربعة جبهات على صعيد الشعر تبعا للأحزاب السياسية . فقد ناصر الأخطل الأمويين. وايد الكُميت العلويين ، وظاهر الطرماح الخوارج ، وكافح عن الأنصار وآل هاشم عبد الله بن قيس الرقيات . وكان كل حزب يحث شعراءه بشتى الوسائل على التعبير عن مواقف فريقه . وفي مجال الشعر الغزلي، برز الى جانب الشعر الحضري الإباحي الشعر البدوي العذري . وتمثل الأول في شعر عمر بن أبي ربيعة والثاني بقصائد جميل بن معمر وآخرين من هذا لاتجاه. [1]

ويبدو أن مناخا من النقاش عرفته المدن العربية والاسلامية منذ عهد مبكر . وهو نقاش شمل الماورائيات والعقائد وغيرهما. وقد تصدى عمر بن الخطاب لمحاولات البعض الدخول في الجدل الفكري والديني وقراءة كتب غير القرآن. الا أن اختلاط ومجاورة المسلمين لشعوب لها فلسفاتها وعقائدها كان من شأنه أن يطلق النقاش على مداه . ومن المعروف أن المساجد كانت تشهد حضور حلقات العلماء والفقهاء الذين يتولون تقديم شروحاتهم للقرآن والحديث والفقه واللغة وغيرها على الطلاب . مما جعل منها مراكز علمية زاخرة بالآراء ومجالات العلوم المتعددة . والمؤكد أن دمشق قد شهدت في غضون المرحلة الأموية نقاشاً بين علماء مسلمين وعلماء مسيحيين ممن تضلعوا في الفكر المسيحي وفي الثقافة اليونانية . وحشدت دوائر معاوية ويزيد عدداً كبيراً من العلماء المسيحيين الذين برعوا في مجالات علمية وادارية متعددة. ومن المعروف أن

(1) ابن عذاري ، مصدر سابق، ص 109.

زوجة معاوية كانت مسيحية من بني كلب. وهي أحدى القبائل الشامية الكبرى وعليه كان أخوال يزيد على الديانة المسيحية[1].

ونلحظ أنه في تلك الفترة المتقدمة برزت محاولة رائدة للتفاعل الثقافي من خلال عملية الترجمة . وقد اعتنى بهذا الجانب الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية الذي عمل على تمويل نقل علوم اليونان في الطب والكيمياء الى العربية . وقد تولى له هذه المهمة بعض اليونانيين المقيمين في مدينة الاسكندرية بمصر. وتبعاً لما هو سائد في حينه فقد كان خالد يحاول الوصول الى صياغة الذهب من بعض المعادن الرخيصة عبر تفاعلها في مختبر كيمائي. كما وردت في بعض المصادر اشارات الى بدء تكون مكتبات، كانت خاصة، الا انها فُتحت أمام العامة والراغبين بالاطلاع على المصنفات المتوفرة ، ويرجح أن يكون معظمها باليونانية. وابرزها دون شك كانت لجالينوس في الطب وغيره. وقد شهدت تلك المرحلة بداية اهتمام بعلم التاريخ . ولما كانت الثقافة العربية في حينه ثقافة شفاهية، أي أنها تعتمد ملكة الحفظ لافتقاد الكتب المدونة، فقد كان المدخل هو رواية السيرة النبوية ومغازي الرسول في مجالس القوم .وتحضر العديد من الأسماء في الثلث الأخير من عمر الدولة الأموية أمثال :عروة بن الزبير وأبان بن عثمان بن عفان والزهري وغيرهم ممن بدأوا عملية التدوين . وكان بعض الخلفاء الأمويين يفضلون في مجالسهم قراءة القرآن على ما عداه. أما معاوية فكان يخصص جزءاً من مسائه للإطلاع على أخبار تاريخ السابقين وسياسات ملوكهم.

اهمية مثل هذه التجارب الريادية أنها ستطلق عمليات تدوين التاريخ الاسلامي وسيرة الرسول ومغازيه بنوع خاص، والتاريخ البشري منذ وجود الانسان على هذه الأرض. لذلك فان هذه البدايات هي اللبنة الأولى التي استند اليها الإخباريون والمؤرخون

(1) ابن عذاري ، مصدر سابق، ص ، ص 110.

اللاحقون في كتاباتهم التي كانت اكثر تطوراً من سابقتها، أما العمارة فلا بد من التوقف عندها طويلاً نظراً لما أضاف اليها العرب الأمويون عن الطرازين الفارسي والبيزنطي، اللذين كانا سائدين في كل من بلاد الشام وفارس واذا كانت بعض الأعمال المعمارية والزخرفية الأولى هي طبق الأصل عن النماذج البيزنطية السابقة. لكن سرعان ما طور الفن الاسلامي هذا الموروث واضاف اليه من عنديات‍ه وما يملكه في رؤاه الجمالية للحياة .وبديهي أن تكون هذه ممزوجة بما حمله العرب معهم من موطنهم الأصلي في الجزيرة العربية. ومجدولة بالجانب العقائدي الذي ارساه الاسلام. من هنا تنبع أهمية مناظر الصحراء وحفلات القنص وتجريدية الآيات القرآنية. ومن المعروف أن الخلفاء والأمراء الأمويين ونظراً لأصولهم العربية القديمة فضلوا السكنى خارج المدن هرباً من الحرارة والصخب. كما أنهم ارسلوا أبناءهم الى القبائل من أجل تعلم الفصاحة والتنشئة في بيئة ملائمة صحياً ولإجادة ركوب الخيل و الفروسية مع أبنائها[1] ويبدو من بعض المصادر أن من أقاموا في دمشق من خلفاء بني أمية ليسا سوى معاوية وعبد الملك فقط وهناك من يعتبر قصير عمره من اوائل المباني الأموية. لكن المؤكد أن معاوية بنى قصر الخضراء في دمشق في اعقاب خلافته. وقد عمَّره أولا بالطين لكنه مالبث أن نقضه وبناه بالحجر وزينه. الا أن عدم وجود بقايا لهذا القصر يدفع الى التركيز على قصير عمره الذي ما زالت بقاياه قائمة الى اليوم .ويرجع تاريخ بنائه الى عهد الوليد بن عبد الملك وقد كشفت عنه بعثة أثرية رأسها لويز موزل في العام 1898 . ويبدو أثر الفن البيزنطي واضحاً في تفاصيل هندسته وفي النقوش التي زينت جدرانه . فقد عثر على جدرانه على صور لنساء عاريات . والقصر مخصص للراحة والاستجمام بالحمامات. ويشمل الحمام ثلاث غرف هي الباردة ويتم الدخول اليها من قاعة

(1) ابن عذاري ، مصدر سابق، ص ، ص 111.

الاستقبال ويغطيها قبو نصف اسطواني محوره عمودي على محور قاعة الاستقبال . ويليها الغرفة الدافئة، ومنها الى الغرفة الساخنة المغطاة بقبة نصف كروية محمولة على اربعة مثلثات كروية الشكل وكان الماء يرفع الى سطح المبنى حيث الصهاريج عن طريق النافورات ومن السطح يوزع على غرف المبنى والحمامات. وقد استأثرت صورتان من صور القصر بالإهتمام احداهما لأمراة قد تكون زوجة أو عشيقة الخليفة والثانية هي صورة يطلق عليها :"صورة اعداء الاسلام"[1]، وقوام شخصيات الصورة ستة يرجح انها لكل من: قيصر بيزنطة، لذريق آخر ملوك القوط في الإندلس، كسرى فارس ونجاشي الحبشة وامبراطور الصين وأحد امراء الترك. ويليهم في صف ثان ملوك دول صغيرة . والصورة مرسومة بالفرشاة . وهناك صور لمناظر صيد واسطورة الخير والشر ولعمال يبدو أنهم شاركوا في بناء القصر. وقد تعددت الدراسات حول هذا القصر الذي يقع شرقي البحر الميت على مسافة مائة كلم شرق عمّان . ويرجح بعض الأثريين أن تاريخ تشييده كان في عهد الوليد بن عبد الملك كما أشرنا .وقد يكون مخصصاً للصيد والراحة. و تتداخل فيه الفنون العربية مع الفنون البيزنطية – اليونانية . ويتألف هذا البناء من قاعة استقبال مستطيلة الشكل ذات عقدين يقسمانها الى ثلاثة اروقة، لكل رواق منها سقف من قبو نصف دائري . وهناك بقايا عين الجر – عنجر في البقاع – لبنان حالياً. وهي تعطي فكرة عن الطراز الأموي في البناء وما يتميز به من أعمدة وعقود وقباب وزخارف[2].

ثانياً البربر:

(1) ابن عذاري ، مصدر سابق، ص ، ص 112.

(2) ابن عذاري ، مصدر سابق، ص ، ص 112.

عاش الأمازيغ في شمال أفريقيا ..... موطنهم الام ...في المنطقة الجغرافية الممتدة من غرب مصر القديمة إلى جزر الكناري ومن حدود جنوب البحر الأبيض المتوسط إلى أعماق الصحراء الكبرى في النيجر ومالي. ولم يعرف أي شعب سكن شمال أفريقيا قبل الأمازيغ. مع حلول الإسلام في أفريقيا ودخول العرب استعربت اقلية نخبوية من الأمازيغ بتبنيها اللغة العربية أو بالأحرى اللهجة العربية المغاربية . أما أمازيغ جزر الكناري فقد تبنوا اللغة الأسبانية غير أن الكثير منهم يعتبرون أنفسهم أمازيغا[1].

ينتشر الأمازيغ في تامزغا على شكل تكتلات لغوية / قبلية / أو عائلية بالبوادي وأيضا بجميع الحواضر الكبرى (الدار البيضاء، الجزائر، طنجة، باتنة تيزي وزو، بجاية، غرداية، البويرة، الناظور، الحسيمة الرباط...) والأمازيغية هي لغة وطنية بموجب الدستور، غير أن الأمازيغ أصبحوا أكثر نشاطا من أجل حقوقهم السياسة والثقافية والاقتصادية خاصة أمازيغ القبائل والريف وسوس. أمازيغ الجزائر تتقسم إلى عدة قبائل: (القبائل الكبربالشاوية– بن مزاب –الطوارق – والتبو المعروفون بـ تداد او ابناء الصحراء الكبرى)

لغة الأمازيغ

بالعودة إلى تاريخ ابن خلدون، البرابر ينقسمون إلى برانس وبتر. وإبان الفتح الإسلامي كانت أوربة من البرانس أقوى قبائل المغرب، فهي التي حاربت مع زعيمها كسيلة المسلمين، وهي التي استقبلت إدريس الأول وبايعته وكان ملكها من ملك الأدارسة. هذه القبيلة متواجدة في نواحي مدينة تازة. اللغة التي يتكلمها أبناؤها هي

(1) محمد الحسين الفرح، عروبة البربر، تاريخ ودلائل انتقال البربر من اليمن إلى بلاد المغرب والجذور العربية اليمنية لقبائل الربر، اصدرارات تريم، عاصمة القافة الإسلامية، 2010م، ص 75.

العربية ولا تعرف لهم لغة أخرى. كما أنها تنتمي إلى القبيلة التي تحتفظ، بالإسم البرانس، والبرانس جميعا يتكلمون العربية، وقبائل أخرى كغياتة وهوارة وكتامة وصنهاجة جميعهم يتكلمون العربية. وهذا لا يخفى على مغربي. لذلك، عندما يتكلم أحد على الأمازيغ عليه أن لا ينسى أن يذكر هذه القبائل التي يظن البعض من أنها قبائل عربية والتاريخ ينفي ذلك، ويؤكد أنها قبائل بربرية. يتحدث البتر اللغة الأمازيغية، وهي تتفرع إلى تنوعات تختلف قليلا من منطقة إلى أخرى. وهو ما قد يشكل عائقا لتطوير الأمازيغية، الشيء[1] الذي يستدعي معيرتها وهو ما شرع المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في تحقيقه. ولكن مما يجدر ذكره هو ان التنوعات (اللهجات) الامازيغية متحدة فيما بينها بشكل كامل في مايخص قواعد اللغة والصرف والنحو والاشتقاق. وتنحصر الاختلافات في المعجم (حيث تستعمل مترادفات لها نفس المعنى) وبعض الاختلافات الطفيفة في التنغيم والنطق. ومن المعروف ان عدم تعليم اللغة الامازيغية في المدرسة والجامعة هو الذي يعقد المسالة. ويمكن لاي امازيغي من الجزائر مثلا ان يتقن التحدث بأمازيغية شمال المغرب في بضعة اسابيع بسهولة لانه ليس بصدد تعلم لغة جديدة بل بصدد اغناء لغته الامازيغية بمفردات مترادفة جديدة! ولهذا تطالب الحركات الثقافية الامازيغية بتدريس اللغة الامازيغية على جميع المستويات وإدماجها في الادارة والاعلام والقضاء.

تنتشر اللغة الامازيغية (بتنوعاتها المختلفة : ثاريفيت، تاشلحيت، تاقبايليت...) في 10 من البلدان الإفريقية أهمها:

– المغرب: حيث يشكل الناطقون باللغة الأمازيغية كلغة أم 39.9% من السكان البالغ مجموعهم 33.3 مليون نسمة.

(1) محمد حسين الفرح، مرجع سابق، ص 77.

– الجزائر: حيث يشكل الناطقون باللغة الأمازيغية كلغة أم 45.35% من السكان البالغ 32.9 مليون نسمة.

– ليبيا: حيث يشكل الناطقون باللغة الأمازيغية كلغة أم 0,5% من السكان البالغ مجموعهم 5.9 مليون نسمة.

وفي ليبيا يشكلون اقلية بالغة الصغر أما في البلدان التالية فتقل نسبة الناطقين بالأمازيغية كلغة أم عن 5% :

تونس، موريتانيا، مالي، النيجر و بوركينافاسو ومصر.

في أوروبا الغربية توجد جالية أمازيغية مغاربية كبيرة لا يقل تعدادها عن المليونين نسمة. وتتميز هذه الجالية بارتباطها القوي بوطنها ثامازغا (شمال أفريقيا) وبتمسكها بهويتها الأمازيغية[1].

كتابة الأمازيغ

ابتكر الأمازيغ خط التيفيناغ وهو من أقدم الأبجديات التي عرفتها الإنسانية وقد نجح المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في معيرته. وهو الخط الذي تبناه النظام التعليمي في المغرب لتلقين الأمازيغية. تجدر الأشارة ألى أن كتابة التيفيناغ بقيت مستعملة بدون انقطاع من طرف الطوارق في حين كتب الأمازيغ بكتابات أجنبية غير أمازيغية بعد خضوعهم للأجانب وتأثرهم بهم.

تاريخ الأمازيغ

(1) محمد الهادي حارش، البربرفي الأندلس، دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية، ص 63.

ترجع أقدم الكتابات عن الأمازيغ إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وهي كتابات وجدت عند المصريين القدماء. يعرف الأمازيغ في الفترات التاريخية بأسماء مختلفة منها الليبيون، النوميديون، الجيتوليون، المور، **البربر، الأمازيغ.**

عاصر الأمازيغ أقوى دول العالم القديم بل لقد لعبت تلك القوى دورا فعالا في تاريخهم فتفاعلوا معها ثقافيا وعسكريا وتعتبر قرطاج نموذجا للتفاعل بين الأمازيغ والفينيقيين، وتعتبر قورينا نموذجا للتفاعل بين الأمازيغ والأغريق القدماء. ومثلما تفاعلوا مع الأغريق والفينيقيين تفاعلوا مع الرومان حتي أن قرطاج الرومانية كانت أقوى مدينة بعد روماعاصمة الرومان، فنبغ الأمازيغ في جامعتها ونذكر منهم القديس أوغسطين، وترتوليان وأبوليوس[1].

لعب الأمازيغ أيضا دورا فعالا في المؤسسات السياسية فتميز الأمازيغ بقوتهم في الجيش الروماني حتى أن ثلاثة قياصرة رومان كانوا من أصل أمازيغي وهم سبتيموس سيفاريوس وابنه كركلا وقريبه ماكرينوس.

خضع الأمازيغ أيضا للعرب بعد حروب طويلة تزيد عن النصف قرن واستطاع العرب إخضاع الأمازيغ ثم تفاعلوا معهم وساعدوهم في غزواتهم حتى أن طارق ابن زياد كان أمازيغيا، وهو القائد الذي فتح الأندلس في وقت زمني أكسبه شهرة عالمية حتى أن مضيق جبل طارق قد سمي نسبة إليه، بل أن الأندلس على الرغم من أنها قد خضعت لغير الأمازيغ عرفت بالحضارة المرية كأسم للحضارة الإسلامية في الأندلس، والمور هو أحد أسماء الأمازيغ وهذا يبرز تأثير الأمازيغ في الأندلس التي خضعت الأمازيغيتين: المرابطون والموحدون.

التقويم الأمازيغي

(1) محمد الحسين الفرح، مرجع سابق، ص 78.

يحتفل العديد من الأمازيغ وبعض القبائل المعربة برأس السنة الأمازيغية التي توافق اليوم الثاني عشر من السنة الميلادية، ويستعمل الأمازيغ الأسماء الغريغورية مع بعض التحريف، غير أن الأمازيغ نسجوا حول تلك الأسماء قصصا ميثولوجية وجعلوا منها جزءا من ثقافتهم.

يعتقد بعض العامة من الأمازيغ أن السنة الأمازيغية تبتدئ بعد تمكن زعيمهم شيشنق من هزم جيوش الفرعون الذي أراد أن يحتل بلدهم، وحسب الأسطورة فأن المعركة قد تمت بالجزائر بمدينة تلمسان. أما من الناحية التاريخية فأن المؤرخين يعتقدون بأن شيشنق الذي أسس الأسرة المصرية الثانية والعشرين لم يصل إلى الحكم عن طريق الحرب، بل من خلال ترقيته في مناصب الدولة المصرية الفرعونية، ذلك لأن المصريين القدماء قد إعتمدوا على الأمازيغ بشكل كبير في جيش دولتهم خاصة منذ عهد الأسرة العشرين[1].

يعود أصل شيشنق إلى قبيلة المشوش، وهذه القبيلة هي على الأرجح من تونس الحالية ويمكن ملاحظة بعض التشابه الثقافي بين أمازيغ الجزائر والمشوش.

يعتقد المؤرخون أن التفسير الأمازيغي العامي ليس تاريخيا علميا، فبعض الباحثين يعتقدون أن التقويم الأمازيغي قد يعود ألى آلاف السنين حتى أنه قد يكون أقدم من التقويم الفرعوني.

أديان الأمازيغ

(1) محمد الهادي حارش، مرجع سابق، ص 64.

تختلف العادات الأمازيغية من منطقة وحقبة زمنية ألى أخرى. عبد الأمازيغ القدماء كغيرهم من الشعوب الأرباب المختلفة، فبرز من معبوداتهم تانيث وآمون وأطلس وعنتي وبوصيدون. ومن خلال دراسة هذه المعبودات وتتبع أنتشارها في الحضارات البحر الأبيض المتوسطية يمكن تلمس مدى التأثير الثقافي الذي مارسته الثقافة الأمازيغية في الحضارات المتوسطية. ويمكن أعتبار آمون وتانيت نموذجين لهذا التأثير الحضاري[1].

آمون:

عبد الأغريق آمون الأمازيغي، وفي ما بعد شخصوه بكبير آلهتهم زيوس كما شخصه الرومان في كبير ألههم جوبيتر وفي ما بعد أحدثوا بينهم وبين آمون تمازجا، كما مزجه البونيقيون بكبير آلهتهم بعل. بالأضافة ألى هذا فقد كان آمون أعظم آلهة مصر وإلى وقت كان يعتقد أن آمون مصري الأصل على الأرجح غير أنه في ما بعد أصبح يرجح الأصل الأمازيغي له حسب الأستاذ غابرييل كامبس[2].

تانيث:

تانيث هي ربة الخصوبة وحامية مدينة قرطاج، وهي ربة أمازيغية الأصل عبدها البونيقيون كأعظم ربات قرطاج وجعلوها رفيقة لكبير ألههم بعل، كما عبدها المصريون القدماء كأحد أعظم رباتهم وقد عرفت عندهم باسم نيث، ويؤكد أصلها الأمازيغي (الليبي) ما أشار أليه الأستاذ مصطفى بازمة من أن معظم مؤرخي مصر الفرعونية أشاروا إلى أنها معبودة أمازيغية استقرت في غرب الدلتا. ثم عبدت من طرف الإغريق حيث عرفت بإسم آثينا بحيث أشار كل من هيرودوت وأفلاطون أنها نفسها نيث الليبية،

(1) محمد حسين الفرح، مرجع سابق، ص 79.

(2) Joomla SEF URLs by Artio FaLang translation system by Faboba P. 96.

وقد سميت أعظم مدينة إغريقية إلى هذه الربة الأمازيغية أثينا. أما تأثير هذه الربة في بلاد الأمازيغ يتجلى في ما يعتقده البعض من أن تونس قد سميت نسبة إلى هذه الربة تانيث، بحيث أن الأسم القديم لتونس كان هو تانيس مما جعلهم يعتقدون أن الإسم مجرد تحريف للثاء إلى السين. ويرجح المؤرخون أن هذه الربة قد عبدت في تونس الحالية حول بحيرة تريتونيس حيث ولدت وحيث مارس الأمازيغ طقوسا عسكرية أنثوية تمجيدا لهذه الربة.

إلى جانب هذه الآلهة عبد الأمازيغ أيضا الشمس وهو ما ذكره هيرودوت وابن خلدون كما مارسوا العبادة الروحية التي تقوم على تمجيد الأجداد كنا أشار إلى ذلك هيرودوت[1].

من خلال نقوشات موجودة في شمال أفريقيا يتبين أن اليهود قد عاشوا في تسامح مع القبائل الأمازيغية. يرجح أن اليهود نزحوا أول الأمر مع الفينيقيين إلى شمال إفريقيا ويذكر ابن خلدون أن قبائل عديدة من الأمازيغ كانت تدين باليهودية قبل الفتح الإسلامي وبعضها بقي على هذا الدين بعد الفتح.

آمن الأمازيغ أيضا بالديانة المسيحية ودافعوا عنها في محنتها من أمثال توتيلينونس وأرنوبيوس، كما برز أوغسطين كأحد أعظم آباء الكنيسة. وآمن الأمازيغ أيضا بالديانة الاسلامية وجاهدوا في نشرها حتى أن أول المسلمين الذين فتحوا الأندلس كانوا في معظمهم أمازيغ بقيادة الشاب الأمازيغي طارق ابن زياد.

التسمية:

(1) Joomla SEF URLs by Artio FaLang translation system by Faboba P. 97

أمازيغ" كلمة أمازيغية تجمع على "إيمازيغن" ومؤنثها "تمازيغت" وتجمع "تِمازيغين". يعني اللفظ في اللغة الأمازيغية الإنسان الحر النبيل.

البربر أو البرابرة اسم لاتيني، ويعني المتوحشين أو الهمجيين البدائيين، أُطلق الرومان هذا الاسم على كل الأجانب وبينهم الأمازيغ، وذلك في غزواتهم لبلدان حوض البحر الأبيض المتوسط[1].

الأصول

أصل أوروبي:

يرى البعض أن أصل الأمازيغ يعود إلى أوروبا، استنادا إلى معطيات لغوية وبشرية توحي بأن الإنسان الأمازيغي من نسل الغاليين (gaulois) أو له صلة بالوندال ممن سبق لهم أن استعمروا شمال أفريقيا.

أصل محلي:

يستند البعض إلى كشوفات علم الآثار والفنون القديمة، مفادها أنه تم العثور على أول إنسان في التاريخ في بعض مناطق أفريقيا، وبالتالي فالإنسان الأمازيغي لم يهاجر إلى شمال أفريقيا ولكنه وجد فيها منذ البداية.

أصل عربي:

ويذهب اتجاه آخر إلى ربط سكان هذه المنطقة بالمشرق وجزيرة العرب، حيث إنهم نزحوا من هناك إلى شمال أفريقيا نتيجة لحروب أو تقلبات مناخية وغيرها.

أصل كنعاني:

(1) محمد حسين الفرح، مرجع سابق، ص .80

يميل المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون إلى اعتبار الأمازيغ كنعانيين من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، فالكنعانيون ليسوا عربا، وليسوا من أبناء سام.

ثورة البربر: 743-739/740 ميلادية 122–125 هجرية حسب التقويم الإسلامي تمت في عصر الخلافة الأموية تحت حكم هشام بن عبد الملك ومثلت أول استقلال ناجح عن الخلافة الأموية (الحاكمة من دمشق .(بدأت ثورة البربر ضد الخلافة الأموي من مدينة طنجة المغرب سنة 740وتمت قيادتها بشكل رئيسي من طرف ميسرة المطغري . انتشرت الثورة بسرعة إلى باقي مناطق شمال أفريقيا وعبر المضيق باتجاه الأندلس إسبانيا.

ربما كانت ثورة البربر أكبر ارتداد عسكري أثناء فترة حكم الخليفة هشام .ومنها، انبثقت بعض الدول الإسلامية الأولى خارج الخلافة. أحيانا يتم الإشارة إليها كبداية الاستقلال المغربي بما أن المغرب لم يرجع أبدا ليكون تحت حكم أي خلافة شرقية أو أي قوة أجنبية أخرى إلى غاية القرن العشرين[1].

الموالي:

مع انتشار الإسلام أطلق على المسلمين من غير العرب الموالي، فكان كل فرد من أبناء الدولة الإسلامية يصبح مولى إذا اعتنق الإسلام ويقف على قدم المساواة التامة مع أخيه العربي المسلم، فلا فرق بينهما ولا فضل لأحدهما على الأخر إلا بالتقوى، وقد تجلت معالم المساواة بين العرب والموالي منذ فجر تاريخ الدولة الإسلامية عندما فرض عمر بن الخطاب لسلمان الفارسي في أربعة آلاف درهم، وللهرمزان في

(1) محمد حسين الفرح، مرجع سابق، ص 81.

ألفين من العطاء كما فرض عمر لكبار دهاقين فارس والعراق الذين أسلموا تقديراً لخدماتهم للدولة الفتية[1].

نظم الموالي حياتهم الاجتماعية في أول الأمر بالانضمام إلى أقوى القبائل العربية المقيمة في الأمصار الإسلامية القريبة طلباً للحماية وتوفيراً لأسباب الطمأنينة والاستقرار، ومن ذلك ما قامت به الأساورة الذين كانوا في الأصل قوة عسكرية ساسانية تحارب الأهواز، فلما قرروا الدخول في الإسلام عقدوا مع أبي موسي اتفاقية يحاربون بموجبها أعداء العرب من العجم على أن يسمح لهم بالنزول في أي بلد يشاؤون وأن يلحقو بشرف العطاء، فلما صاروا إلى البصرة سألو أي الأحياء أقرب نسباً إلى رسول الله فقيل بنو تميم، ثم خطت لهم خططهم فنزلوا وحفروا نهرهم الذي يعرف بنهر الأساورة، ودخل مع بن العاص إلى مصر قوم من العجم يقال لهم الحمراء والفارسيون، أما الحمراء فقوم من الروم فيهم بنو ينة وبنوا الأزرق، وبنو روبيل، والفارسيون، وفيهم كما زعموا، قوم من الفرس بصنعاء فنزل الروم بالحمراء التي بالقنطرة، ونزلت الفرس بناحية بني وائل، ومسجد الفارسيين هنالك مشهور، إضافة إلى هؤلاء الموالي الذين كانوا من الأعاجم الأحرار الذين أسلموا ووضعوا أنفسهم تحت حماية أفراد أو عشائر، كان هناك الموالي الذين عرفوا بموالي العتاقة، ومولي العتاقة هو العبد الذي أسلم والذي أعتقه سيده، فأصبح حراً له ما للأحرار، وله ما عليهم، ولكنه يبقي مرتبطاً بسيده ويحمل اسم عشيرة سيده،مرفقة بكلمة مولي إشارة إلى أن رابطته رابطة اجتماعية لا رابطة دم، وكانت نسبة كبيرة من الموالي في الشام موالي عتاقة إما من الرقيق الذي كان موجوداً قبل الفتح وإما من الرقيق الذي كان يؤلف الخمس من الأسري أو السبي الذي كان يرسل إلى دمشق بعد أن أصبحت عاصمة للدولة الإسلامية، ولذلك كان هؤلاء من

(1) محمد الهادي حارش، مرجع سابق، ص 65

أصول مختلفة فارسية، رومية، بربرية، تركية، كان العرب في جاهليتهم يغزو بعضهم بعضاً فيكونون أرقاء، فلما انتشر الإسلام لم يعد يقبل من العربي المشرك إلا الإسلام أو القتل وأصبح غير محل للاسترقاق، حتى لو وقع أسيراً، أما أفراد القبائل العربية المتنصرة، الذين يعتنقون الإسلام فإن مرتبتهم تصبح كالعرب المسلمين سواءاً بسواء[1].

(1) محمد الهادي حارش، نفس المرجع السابق، 66.

المبحث الثاني

أهل الذمة (النصاري – اليهود)

تعني الذمة في اللغة: العهد والأمان والضمان، وأهل الذمة هم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين، وسموا بهذا الاسم لأنهم دفعوا الجزية فأمنوا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم؛ فإن تعاليم الإسلام كانت تقضي بأنه إذا أراد المسلمون فتح إقليم وجب عليهم أن يطلبوا من أهله اعتناق الإسلام، فمن استجاب منهم طُبِّقت عليه أحكام المسلمين، ومن امتنع أُخذت منه الجزية[1].

وعندما فتح المسلمون الأمصار رَحَّب بهم أهل الذمة، فقد أملوا في الخلاص من الانقسامات الدينية والمذهبية، والخلاص من ظلم حكامهم، والإعفاء من الخدمة العسكرية، والتمتع بالحرية الدينية التي يسمح بها الإسلام مقابل دفع الجزية، وكان ترحيب أهل الذمة عاملاً على نشر الإسلام، فقد دعا المسلمون أهل الذمة إلى الإسلام، وأعلنوا أن المحارب إذا أسلم سيصبح له ما للمسلمين وعليه ما عليهم؛ ولذا دخل في الإسلام جموع هائلة من أهل الذمة، واعتقد بعضهم أن توفيق المسلمين في الفتوح هو مظهر من مظاهر رضاء الله عليهم ودليل على صدق دينهم، وأما من بقي من أهل الذمة على دينه، فقد عاملهم المسلمون بتسامح عظيم باعتبارهم أهل كتاب، وكانت كتب الصلح صورة صفية لتسامح المسلمين. وكان على أهل الذمة طوال عهد الخلفاء الراشدين والأمويين واجبات، ولهم في مقابلها حقوق[2].

واجبات أهل الذمة

كان على أهل الذمة أن يدفعوا الجزية على الموسر 48 درهمًا، وعلى متوسط الحال 24 درهمًا، وعلى الفقير 12 درهمًا مع تقديم الزيت والخلِّ والطعام اللازم للمسلمين، وكان يُشترط على أهل الذمة في عقد الجزية شرطان: أحدهما مستحَق، والآخر مستحب، ويشمل الشرط المستحق ستة أمور يجب على أهل الذمة تحقيقها، فيجب عليهم احترام

(1) رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الجزائر 1968، ص 71.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ – المجلد الثاني، دار صادر، 1979م، ص 92.

القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم القدح في الإسلام، وألا يصيبوا مسلمًا بزنا ولا بنكاح، وألا يحولوا مسلمًا عن دينه، وألاَّ يعينوا أهل الحرب.

أما الشرط المستحب فيشمل –أيضًا– أمورًا ستة، فعليهم لبس الغيار وشد الزنار، وأن تكون مبانيهم أقل ارتفاعًا من مباني المسلمين، وألاَّ يُسمِعوا المسلمين أصوات نواقيسهم وتلاوة كتبهم، وعدم المجاهرة بشرب الخمر أو إظهار الصُّلبان والخنازير، وإخفاء دفن الموتى وعدم النَّوْح عليهم، وعدم ركوب الخيل مع السماح بركوب البغال والحمير، وكان على أهل الذمة ألاَّ يحدثوا بيعة أو كنيسة، ولكن يجوز بناء ما تهدم من بيعهم وكنائسهم القديمة، كما كان على فلاحي أهل الذمة العناية بالطرق والجسور والأسواق والإرشاد وضيافة أبناء السبيل[1].

حقوق أهل الذمة:

أما حقوق أهل الذمة فهي الكفُّ عنهم والحماية لهم ولأهل العهد والأمان على نفوسهم وأموالهم، وفي الحقيقة كانت معاملة المسلمين لأهل الذمة تنم عن تسامح وعطف وكرم فقد كان أهل الذمة لا يدفعون سوى عُشر التجارة والجزية بينما هم مُعفون من الصدقات، وكانت الجزية مقابل ما يدفعه المسلم من صدقة، وأُعفي الصبيان والنساء والمساكين وذوو العاهات والرهبان[2]، وكثيرًا ما نقض بعض أهل الذمة ما شرطه المسلمون عليهم، فكان المسلمون لا يقتلونهم أو يغنموا أموالهم أو يَسْبُوا ذرياتهم بل كانوا يكتفون بطردهم من بلاد المسلمين، وعاش المسلمون مع أهل الذمة جنبًا إلى جنب، فقد اشتركوا مع المسلمين في تخطيط المدن الإسلامية الجديدة، وعاشوا جميعًا في سلام.

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المرجع السابق، ص 93

(2) نفس المصدر، ، ص 94.

المسلمون والمجوس

أما عن معاملة المسلمين للمجوس فقد اختلف المسلمون في اعتبار المجوس أهل كتاب، فالماوردي[1] يذكر أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى وكتابهم التوراة والإنجيل، ويجري المجوس مجراهم في أخذ الجزية منهم، وإن حُرِّمَ أكلُ ذبائحهم ونكاح نسائهم، وتُؤخَذ من الصائبة والسامرة إذا وافقوا اليهود والنصارى في أصل معتقدهم. ويؤكد البلاذري[2] أن المجوس من أهل الكتاب، أما أبو يوسف فيروي أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر –رضي الله عنهما– أخذوا الجزية من المجوس.

ومن الثابت تاريخيًّا أن الرسول صلى الله عليه وسلم صالح مجوس هجر على أن يأخذ منهم الجزية، وإن لم يستحل مناكحة نسائهم ولا أكل ذبائحهم، وظل الولاة الأمويون يجمعون الجزية من المجوس مثل سائر أهل الذمة، فأبو يوسف (صاحب كتاب الخراج) حفظ لنا خبر أخذ عدي بن أرطأة عامل عمر بن عبد العزيز في العراق الجزية من المجوس[3].

التسامح والرحمة:

وجد أهل الذمة من مصلحتهم تعلّم اللغة العربية، وكان تسامح المسلمين مع أهل الذمة سببًا في إقبالهم على تعلم لغتهم، والعمل بالنظم العربية حتى أصبحت اللغة العربية بمرور الوقت لغة معظم المسيحين، أما مجوس العراق وفارس فكانوا يتحدثون باللغة الفهلوية، وحرص المجوس عند إسلامهم على تغيير أسمائهم إلى أسماء عربية، وعلى تعلم اللغة العربية، وتمتع أهل الذمة في العصر الراشدي والعصر الأموي منذ خلافة

---

(1) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب *الماوردي* ، نصيحة الملوك، (ت 450هـ)، المحقق: خضر محمد خضر - الناشر: مكتبة الفلاح، الطبعة، الأولى، ص 364.

(2) البلازري، مصدر سابق، ص 293.

(3) يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها إبتداءاً من فتنة عثمان، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، 1985م، ص 84.

معاوية بن أبي سفيان إلى عصر عبد الملك بن مروان بالحرية الدينية والتسامح الديني[1].

ولكن أهل الذمة في العراق في عصر الحجاج بن يوسف والي عبد الملك بن مروان عانوا بعض الشيء من سياسته، فقد ظنَّ أهل الذمة أن إسلامهم سيخلِّصُهم من دفع الجزية، فأقبلوا على الإسلام وخرجوا من قراهم إلى مدن العراق، ولكنَّ الحجاج ختم أسماء قراهم على أيديهم وأعادهم بالقوة، ووضع عبد الملك ضرائب استثنائية على أهل الذمة، وجعل الجزية في الجزيرة هي الزائد عن دخل أهل الذمة. حاول أهل الذمة الفرار من الجزية فترهبنوا لعلمهم بإعفاء الرهبان، ولكن الحجَّاج فرض الجزية على جميع الرهبان، كما كان يشتد على أهل الذمة إذا ما تأخروا في وضع الجزية، وقام الحجاج بإقصاء العمال الذميين من وظائف الدولة بالعراق[2].

وهذا لا يعد دليلاً على أن المسلمين أساءوا معاملة أهل الذمة في العصر الأموي، فالثابت تاريخيًّا أن أهل الذمة تمتعوا بالحرية الدينية تمامًا، فضلاً عن حسن المعاملة؛ فقد كان التسامح شعار الإسلام ولم يكن الفتح الإسلامي حربًا صليبية، ويدلل (أرنولد) على تسامح المسلمين برسالة لأحد رجال الكنيسة وهو البطريق النسطورى (يشوع باف الثالث) فقد تضمنت هذه الرسالة الدليل القاطع على طابع الهدوء والمسالمة التي اتبعها المسلمون في نشر الإسلام: فقد احترم المسلمون عقائد أهل الذمة وعاداتهم وعرفهم مقابل جزية زهيدة تقل عما كانوا يدفعونه إلى ساداتهم السابقين الفرس من الضرائب، ولم يطبق المسلمون على أهل الذمة ما كانوا يوقعونه على المسلمين من عقوبات لشربهم الخمر. ويمتدح (جوزي) بني أمية؛ لأنهم ساووا بين طبقات الفرس، وعاملوا أهل الذمة بالحسنى[3].

---

(1) يوسف العش، مصدر سابق، ص 85.

(2) نفس المصدر، ص 85.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ، ص 95.

وقد افتتح معاوية بن أبي سفيان عهدًا جديدًا من التسامح مع أهل الذمة؛ حيث عين لولده يزيد مربيا مسيحيًّا، كما كلّف يزيد بن معاوية كاهنًا مسيحيًّا بتثقيف ولده خالد، وعامل المختار بن أبي عبيد الثقفي أهلَ الذمة معاملة حسنة، أما الحجاج الذي اتهمه المؤرخون باضطهاد أهل الذمة فقد كان عامله بخراسان يبني لأهل الذمة البِيَع، وقد سمح له الحجاج بذلك، وكان الأخطل الشاعر المسيحي يحظى باحترام جميع المسلمين[1].

كما تمتع أهل الذمة في عهد عمر بن عبد العزيز بكثير من عدله ورحمته؛ فقد أمر عماله بألاَّ يهدموا كنيسة أو بيعة أو بيت نار صُولح أهلُ الذمة عليه، كما نهى عمر بن عبد العزيز عامله على الكوفة عن اتباع سياسة الحجاج التي تقضى بإرجاع أهل الذمة إلى قراهم. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة –أيضًا– أن يعطي أهل الذمة ما بقي من خراج الكوفة فيسدد ديونهم، ويساعد من أراد الزواج منهم، ثم ختم رسالته بقوله" :قووا أهل الذمة؛ فإننا لا نريدهم لسنة أو سنتين". وكان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله– يجعل صدقات بني تغلب –القبيلة المسيحية– في فقرائهم دون ضمها إلى بيت المال[2].

لقد تمتع أهل الذمة في الخلافة الأموية بنصيب كبير من الوظائف، حيث احتلوا مكانة بارزة من حياة الخلافة الأموية، وكثُر عددُهم في الدواوين والمصالح، وزاد (بارتولد) عليه بأن النصارى والفرس كانوا يقومون ببناء المساجد والقصور[3].

احتقر العرب الغزاة ومنهم ابن الحبحاب وعماله أجدادنا الأمازيغ وأهانوهم رغم اسلامهم ، عاملوهم معاملة العبيد ، استخدموهم في الغزو دون أن يعترف لهم بالفضل عند تقسيم الغنائم ، تذكر المصادر بأن عبيد الله المرادي عامل ابن الحبحاب على طنجة خمس الأمازيغ وزعم أنهم وأموالهم غنيمة للأمويين ، ويقول الرقيق القيرواني في الموضوع:

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ص 96.

(2) نفس المصدر، ص 97.

(3) يوسف العش، مرجع سابق، ص 86.

((.. وكان ابن الحبحاب قد ولى طنجة وما ولاها عمر بن عبد الله المرادي فأساء السيرة وتعدى في الصدقات والقسم ، وأراد أن يخمس البربر، وزعم أنهم فيء المسلمين وذلك مالم يفعله عامل قبله[1].

ومما زاد من تجبر العمال مغالاة دار الخلافة الأموية في طلب تحف وطرائف المغرب ، فكان هشام وكبار دولته لا يكتفون بما يحصلونه من ثياب صوفية بديعة ترسل لهم من بلادنا ، بل كانوا يريدونها ثيابا أكثر نعومة تصنع من سخال الضأن أول ما تولد ، ولا يريدونها الا عسلية الألوان[2]، غير مصبوغة ولا ملونة ، بل هي بالطبيعة كذلك، واللون العسلي نادر في الغنم ، لهذا يضطر جند العمال إلى مهاجمة غنم الأهالي (الأمازيغ)للأستيلاء على النعاج التي هي على وشك الولادة ، فيشقون بطونها بحثا عن هذه السخال(صغار الخرفان) العسلية، يقول ابن خلدون ((وكانت الصرمة (القطيع)من الغنم تهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ، ولا يوجد فيها مع ذلك إلا الواحد وما قرب منه ، فكثر عبثهم بذلك في أموال البربر وجورهم عليهم))، كما أنهم أخذوا كل جميلة من بنات البربر ، يبعثن إلى بلاط الخلافة الأموية في دمشق ، ولا يخفى ما لأثر ذلك في نفوس الأمازيغ الذين يحرصون في الحفاظ على شرفهم وكرامتهم وهم في ذلك أهل عزة ونخوة[3] .

يتضح مما تقدم بأن سلوك العمال العرب الأمويين مع أجدادنا الأمازيغ المسلمين كان بعلم من دار الخلافة بدمشق التي سكتت عن ذلك حفاظا على ما يردها من طرائف الهدايا والتحف ، وهذا ما شجع العمال على إِهانة الأمازيغ.

ظهور الحركة الخارجية:

ظهرت حركة الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي بعد وصول طوائف كثيرة من الأعداء السياسيين للدولة الأموية ، الذين اختاروا هذه الولاية لبعدها عن دار الخلافة ،

---

(1) يوسف العش، المرجع السابق، ص 87.

(2) محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي، العهد الأموي، الطبعة الأولى سنة 1982م، المكتب الإسلامي، ص 41.

(3) محمد قباني، الوجيز في الخلافة الراشدة، الطبعة الأولى، سنة 2006م، دار الفاتح، دار وحي القلم، ص 60

واتساعها وتشعب مسالكها ، وكثرة قبائلها التي تضمر العداء والحقد لعمالها لذا رحبت باللاجئين إليها لأنهم وإياها على هوى واحد ،. يشكلون معا جبهة معارضة ضد الأمويين ،ويقول ابن خلدون في هذا الشأن[1]، استقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه ، ورسخت فيهم كلمة الإسلام، وتناسوا الردة ، ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقليها من منبعها بالعراق[2]، وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الاباضية والصفرية ، لم يجد أجدادنا الأمازيغ، سبيلا يتقون بها السلطة الأموية ، سوى الأخذ بدعوة الخوارج التي ينص دستورها على أنه إذا كان لابد من الخلافة فأصلح الناس لها أحق بها، قرشيا كان أو غير قرشي، عربيا أو غير عربي ، والخروج عن الخليفة الجائر . وأهم أشد من المعتزلة في التمسك بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في غير هوادة. .

اختلف الخوارج فيما بينهم في الفروع وليس في الأصول ، وانقسموا على أنفسهم إلى عدة طوائف منها طائفة الصفرية أتباع زياد بن الأصفر ، الذين تمسكوا بالتقية في القول دون العمل ، ومن أقوال زعيمهم زياد بن الأصفر : ((الشرك شركان ، شرك هو طاعة الشيطان ، وشرك هو عبادة الأوثان . والكفر كفران ، كفر بالنعمة ، وكفر بإنكار الربوبية .والبراءة براءتان، براءة من أهل الحدود سنة ، وبراءة من أهل الجحود فريضة[3].

انتشرت الخارجية الصفرية في المشرق، وانتقلت إلى المغرب بواسطة دعاة مهرة أبرزهم عكرمة مولى ابن عباس، وميسرة المدغري ، وعبد الأعلى بن جريح . وأصبح لها أنصار ومؤيدون من مسلمي الأمازيغ وغيرهم ، وهذا ما شجع الأمازيغ على إشهار السيف في وجه الحكم الأموي. .

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 303.

(2) محمد قباني، مرجع سابق، ص 74

(3) نفس المرجع، ص 75.

يتضح مما تقدم بأن سلوك العمال العرب الأمويين مع أجدادنا الأمازيغ المسلمين كان بعلم من دار الخلافة بدمشق التي سكتت عن ذلك حفاظا على ما يردها من طرائف الهدايا والتحف ، وهذا ما شجع العمال على إهانة الأمازيغ.

عرقلة الوفد الأمازيغي وافشاله في مقابلة الخليفة:

قرر الأمازيغ إرسال وفد يمثلهم لمقابلة الخليفة هشام قصد اطلاعه على حقيقة ما يجري في بلادهم من ظلم وجور واحتقار يقترفه عماله ضد الأهالي المسلمين قال ابن الأثير ((لم يزل أهل افريقية(بلاد المغرب) من أطوع أهل البلد وأسمعهم إلى زمن هشام ... وكانوا يقولون لا نخالف الأئمة بما يجني العمال ، فقالوا لهم : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك، فقالوا :حتى نخبرهم[1].

سار الوفد إلى هشام عام واحد وعشرين ومائة للهجرة (121هجرية) ، يتكون من بضعة وعشرين رجلا ، يرأسهم ميسرة المدغري ، لرفع شكواهم إليه، لكن الأبرش حال بينهم وبين رؤية الخليفة ، ولما طال انتظارهم ، ونفذت نفقاتهم ، طلبوا من الأبرش أن يبلغ أمير المؤمنين شكواهم، وقد أورد ابن الأثير نصها كالآتي)) : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده ، فإذا أصاب نفلهم)الغنيمة)دوننا وقال هم أحق به ، فقلنا هو أخلص لجهادنا . وإذا حاصرنا مدينة قال : تقدموا وأخر جنده ، فقلنا تقدموا فانه ازدياد في الجهاد ، ومثلكم كفى إخوانه فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم ، ثم أنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها عن السخال ، يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين ، فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك ، ثم أنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ، نحن مسلمون ، فأحببنا أن نعلم ، أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا . قال الأبرش نفعل ، فلما طال عليهم ونفذت نفقاتهم كتبوا أسماءهم في رقاع ورفعوها إلى الوزراء ، وقالوا هذه أسماؤنا وأنسابنا ، فان سألكم أمير المؤمنين عنا فاخبروه ، ثم كان وجههم إلى افريقية لم يجد الوفد الأمازيغي آذانا صاغية من الخليفة ووزرائه رغم ما بذل من جهد، لهذا زاد الأمازيغ يقينا باحتقار الأمويين لهم ، ويئسوا من الإصلاح بعد أن

(1) محمد قباني، المرجع السابق، ص 76.

اتضح لهم عجز الخليفة في كبح جماح عماله ، وهذا دليل على تورطه معهم وإصراره على سياستهم حفاظا على ما يرده من تحف هذه الولاية الغنية ، لهذا تناذر الأمازيغ وانقلبوا معارضين ، والتجأوا إلى القوة لتحقيق مطالبهم والثأر لكرامتهم[1].

مراحل الثورة:

انتفض الخوارج الصفرية في المغرب الأقصى بعد عودة الوفد مباشرة من دمشق بقيادة ميسرة الذي كان حاقدا على الحكم الأموي للأسباب التي ذكرناها ، كما أن نشاط حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع العسكري في بلاد السوس لا شك وأنه قد أساء للأمازيغ بانتهاجه سياسة القتل والتنكيل وسبي النساء ، والتلهف على جمع الغنائم، لاسيما ضد قبيلة مسوفة الصنهاجية مما خلق جوا من الرعب وجرح الكرامة.

(1) محمد الضخري بك، تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية ، 1969م، المكتبة التجارية الكبرى، ج1 ص 97.

الفصل الثالث

الزراعة والري الثروة الحيوانية.

المبحث الأول: الزراعة والري والمحاصيل الزراعية.

المبحث الثاني: الثروة الحيوانية.

المبحث الأول

الزراعة والري والمحاصيل الزراعية

كان الاقتصاد الأمويّ كبيراً ومزدهراً، حيث غذته كثيراً الفتوحات الإسلامية الواسعة، فأصبحت الدولة الأموية مسيطرة على أغلب الطرق التجارية بالإنجليزية الأساسية في العالم القديم، وسيطرت من ثمَّ على الحركة التجارية فيها، فضلاً عن أن ربوعها شملت الكثير من المراكز الزراعية والصناعية الهامة التي أغنت وأثرت اقتصادها، كما أن توسعها أتاحَ نمو حركة تجارية ضخمة بين ولاياتها بدون عوائق، جعلت نقل البضائع والمتاجرة بها سهلاً ويسيراً، فازدهرت الحركة التجارية في الدولة إذ شهدت الدولة الأموية حركة تجارية نشطة عبرَ أنحائها المختلفة الواسعة ومع الدول والإمبراطوريات الأخرى المجاورة على حد سواء. ولم تُقم الدولة أي قيود من أي شكل على كافة أشكال التجارة بين ولايات الدولة نفسها، كما لم تفرض قيوداً أو تقنن بأي شكل التداولات التجارية مع الدول المجاورة، ولم تحتكر أي نوع من البضائع التجارية، وبذلك فإن القوانين التجارية لم تختلف في العهد الأموي كثيراً عما كانت عليه في عهد الخلافة الراشدة[1].

مع بداية الدولة الأموية ظهرت الملكيات الزراعية الكبيرة وذلك نتيجة لدخول الولاة، الخلفاء في هذا الميدان، ولذلك اهتموا بإحياء الأرض الموات من أراضي ألصوافي، وغيرها، من الأراضي المفتوحة الخصبة، وبالذات إقليم العراق وما شابهه، وقد ساعدهم، في ذلك حجم السيولة التي يملكونها، فقد أحيا والي معاوية رضي الله عنه على خراج

(1) Jonathan Miran, Red Sea Citizens: Cosmopolitan Society and Cultural Change in Massawa, (Indiana University Press, 2009),P. 100.

العراق أرضين من البطائح لمعاوية، حيث قام بقطع الماء عنها وتجفيفها وزراعتها، وقد بلغت غلتها خمسة ملايين درهم[1]، وهذا مما يدل على عظم مساحتها، ولم يكن، معاوية رضي الله عنه يجعل ريعها كله داخلاً في نفقاته الخاصة، وإنما كان يتدارك منها شيء من النقص في النفقات العامة[2]، ولم يدخل تلك الأرضيين في ملكه يتوارثها من بعده، بدلالة أن الأرض التي أحياها الحجاج فيما بعد لعبد الملك هي نفس الأرض التي أحياها معاوية رضي الله عنه، إلا أنها عادت مواتاً لغلبة الماء عليها[3]. ومن الناحية الشرعية فإن أحياء الأرض بصفة عامة مباح، بل هو سبب من أسباب الملك لها وذلك استناداً على الأحاديث الواردة في ذلك، وهي إباحة عامة يستوي فيها الحاكم، والمحكوم، إلا أنه في حق الحاكم ينبغي أن تكون هناك قيود إضافية لعل من أبرزها:

- عدم استغلال الحاكم لسلطته ومكانته، وإنما يدخل في عملية الأحياء كأي فرد من أفراد الشعب.
- عدم استخدام أموال المسلمين في عملية الأحياء، بل يقوم بإحيائها من ماله الخاص.
- ألا يترتب على تملكه للأرض بطريق الإحياء ضرر على المسلمين، الأفراد أو جماعة المسلمين، وكذا من له ذمة، وقد ساهم الإقطاع يقصد الإحياء والأعمار[4].

في تكوين الملكيات الزراعية الكبيرة، فقد أقطع معاوية رضي الله عنه بعض أخوته الجزيرة التي بين النهرين، فأرسل زياد بن أبيه الماء، فلما نظر إليها المقطوعة له ظن

---

(1) البلازري، فتوح البلدان،مصدر سابق صـ187 .

(2) بطاينة، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، مرجع سابق، ص135 .

(3) البلازري، فتوح البلدان، مصدر سابق، ص 214.

(4) نفس المصدر السابق، ص 177.

أنها بطيحة، فاشتراها منه زياد بمائتي درهم، وقد أقطع زياد بعد ذلك من تلك الأرض غيره، مما يدل على عظم حجمها، حتى أنه أيضاً حفر لها أنهاراً وليس نهراً واحداً[1]، وأقطع زياد بن أبيه مرّة مائة جيب على نهر الأبلة فحفر لها نهراً فسمي باسمه، كما أقطع أيضاً كل بنت من بناته أي بنات زياد . ستين جريباً[•] واستمرت الملكيات الزراعية بالتوسع مع مجيء الخلفاء الأمويين بعد معاوية رضي الله عنه، ولم ينحصر الإقطاع للأراضي على الأسرة الأموية وبعض وجهاء قريش[2]، وإن كان هو الغالب[3]، إذ كانت هناك أقطاعات لعامة الشعب، ومثال ذلك أن زياداً كان يقطع الرجل القطعية ويتركه سنتين فإن لم يعمرها أخذها منه[4]، وقد كانت تقدر مساحات تلك الاقتطاعات بين (60. 100) جريب[5]، وقد كانت أقطاعات الدولة الأموية من الصوافي أو من الأراضي الموات ولكن بصفة عامة يؤخذ على القطاع في العصر الأموي عنصر

---

(1) البلازري، معجم البلدان، مصدر سابق، ص 178.

(•) تعني وحدة مساحة وهي ألا يترتب على تملكه للأرض بطريق الإحياء ضرر على المسلمين، الأفراد أو جماعة المسلمين، وكذا من له ذمة، وقد ساهم الاقطاع . أي الاقطاع يقصد الإحياء والإعمار . في تكوين الملكيات الزراعية الكبيرة، فقد أقطع معاوية رضي الله عنه بعض أخوته الجزيرة التي بين النهرين، فأرسل زياد بن أبيه الماء، فلما نظر إليها المقطوعة له ظن أنها بطيحة، فاشتراها منه زياد بمائتي درهم، وقد أقطع زياد بعد ذلك من تلك الأرض غيره، مما يدل على عظم حجمها، حتى أنه أيضاً حفر لها أنهاراً وليس نهراً واحداً، وأقطع زياد بن أبيه مرّة مائة جيب على نهر الأبلة فحفر لها نهراً فسمي باسمه، كما أقطع أيضاً كل بنت من بناته . أي بنات زياد . ستين جريباً واستمرت الملكيات الزراعية بالتوسع مع مجيء الخلفاء الأمويين بعد معاوية رضي الله عنه، ولم ينحصر الإقطاع للأراضي على الأسرة الأموية وبعض وجهاء قريش، وإن كان هو الغالب إذ كانت هناك إقطاعات لعامة الشعب، ومثال ذلك أن زياداً كان يقطع الرجل القطعية ويتركه سنتين فإن لم يعمرها أخذها منه، وقد كانت تقدر مساحات تلك الاقطاعات بين (60 . 100) جريب.

(2) البلازري، معجم البلدان، مصدر سابق، ص 179.

(3) صلاح طهبوب، العصر الأموي، عمان، دار أسامة لطبع، 2004، ص 21.

(4) سالم بن عبد الله الخلف، نظام حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2003هـ، ص 397.

(5) حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، القاهرة، دار الكتاب، دون تاريخ، ص 254.

المحاباة، إذ أن أصحاب الملكيات الكبيرة كانوا إما من الأسرة الأموية أو من أشراف قريش، وبحثت الدولة عن أصحاب السيولة النقدية القادرين على استثمار تلك الأراضي، لكن ترتب على ذلك السلوك تركز الثروة الكبيرة في أيدي قلة من أفراد المجتمع[1]، كانت الزراعة في العصر الأموي تعتمد بصفة رئيسية على مياه الأنهار، ولذا نجد أن مراكز الإنتاج الزراعي الرئيسية كانت هي العراق ومصر والشام، وبالذات حول الأنهار[2]، وكان للقطاع الخاص دوره في تطوير الزراعة في العهد الأموي، وقد قام القطاع الخاص باستصلاح أراضي زراعية جديدة بمساحات واسعة ومثال ذلك أراضي البطائح التي كانت منذ عهد الفرس وحتى عهد الدولة الأموية أراضي مغمورة بالمياه، فبدأت من بداية الدولة الأموية حركة استصلاحها بحجز المياه عنها وتجفيفها، وقد خرجت منها أراضي واسعة وخصبة وفيرة الإنتاج[3]، وقد توسعت الملكيات الزراعية الخاصة، وترتب عليها زيادة في الإنتاج الزراعي، مما أدى إلى وجود أراضي بعيدة عن مصدر الري وهو النهر الأساسي، فحدث تطور في تقنية الري حيث ظهرت حركة حفر الأنهار والقنوات الفرعية وفق طرق هندسية تسمح لتلك الأراضي بالاستفادة من ماء النهر دون أن يؤدي ذلك إلى إغراقها، وقد توسع القطاع الخاص في حفر هذه الأنهار والقنوات، فحدثت تنمية زراعية نتيجة استفادة الأراضي التي كانت تمر بجوارها تلك الأنهار والقنوات الفرعية، وقد تمّ نقل التقنية الزراعية من البلاد المفتوحة حديثة إلى مراكز الإنتاج الزراعي الرئيسية في الدولة الأموية[4].

(1) حمدي شاهين، نفس المرجع السابق، 255.

(2) صلاح طهبوب، المرجع السابق، ص 22

(3) سالم بن عبد الله الخلف، مرجع سبق ذكره، ص398.

(4) سالم بن عبد الله الخلف، مرجع سبق ذكره، ص399.

إلا أن القطاع الزراعي تعرض للتدهور في المنطقة الشرقية من الدولة الأموية بسبب عوامل متعددة منها:

الاضطراب السياسي، وفقدان الأمن بالمنطقة، فانعكس ذلك على مستوى الإنتاجية الزراعية، ويبدأ هذا الاضطراب مع مجيء يزيد بن معاوية، ومعاوية الثاني، ومروان بن الحكم.. الخ.

تركز الثروة في يد قلة من سكان المنطقة، حيث كانت معظم التركيبة السكانية من الموالي[1]، مما ترتب عليه ضعف حركة النقود داخل المنطقة، فضعفت حركة تبادل السلع، أي حدوث كساد اقتصادي بالمنطقة.

إعادة ضريبة النيروز والمهرجان التي روي أنها بدأت مع عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[2]، وكان السبب في إعادتها أن الناس اعتادوا دفعها على الرغم من منع الإسلام لها[3]، فأراد معاوية رضي الله عنه سحب مبالغها من غير المسلمين من الدهاقنة المسئولين عن الجباية، حتى لا يكونوا مراكز ثروة يتقوون بها ضد الدولة الإسلامية، وكان ينفقها رضي الله عنه في مصالح الأمة الإسلامية، لكن الدهاقنة والأمراء المحليين أخذوا فيما بعد في ابتكار ضرائب إضافية عديدة[4]، أرهقت كاهل المزارعين، بالإضافة إلى ما صاحب تلك الضرائب من عنف في الجباية[5].

---

(1) سالم بن عبدالله الخلف، المرجع نفسه، ص 400.

(2) الباري، صحيح البخاري، مصدر سابق، ص 1243.

(3) صلاح طهبوب، مرجع سابق، ص 23

(4) الماروردي، مصدرسابق، 175.

(5) حسين يوسف دوادير، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، جامعة الأزهر، مطبعة الحسين، 1994م، ص193.

إخضاع المشاريع الزراعية للضغوط السياسية، فقد أدت محاربة الدولة لخصومها السياسيين إلى تخرب أو تحجيم مشاريعهم الزراعية، فانعكس ذلك بنتائج سلبية على اقتصاد الدولة ككل، ومن صور ذلك ما حدث في عهد الحجاج من أن بثوق انبثقت على الأرض المحياة من أرض البطائح فلم يعمل الحجاج . بوصفه والي المنطقة . على سد تلك البثوق مضارة لأهلها (لاتهامهم بمساعدة ابن الأشعث في الخروج عليه). فغرقت أراضيهم الزراعية وتحولت إلى موات[1].

معاناة الدولة الأموية في بداية نشأتها من مجموعة من المهاجرين الذين قدموا إلى إقليم العراق، وكانوا يعانون من البطالة، حيث لم يكونوا مسجلين بالعطاء، وليس لديهم أراضي يقومون بزراعتها، فبدلاً من أن يقوموا بالعمل في مجال من المجالات الأخرى قامت فئة منهم بإحداث بثوق في نظام الري، فأدى ذلك إلى تخريب المزارع وإغراقها، فلما ولي زياد العراق قام بالقضاء على مثل تلك الأعمال[2].

حدوث مواجهة عسكرية بين المزارعين المهاجرين من الأرياف إلى المدن من الموالي والدولة الأموية، وذلك حينما حاول والي العراق الحجاج بن يوسف إعادتهم إلى أراضيهم بالقوة وإعادة فرض الجزية عليهم، وقد وافق ذلك خروج ابن الأشعث على الدولة الأموية، فانضموا تحت لوائه[3]. ونتيجة لتلك العوامل وغيرها، فقد بدت علامات تدهور القطاع الزراعي العام في المنطقة الشرقية من الدولة الأموية. ومع ذلك فقد كانت خلال تلك الفترة مجموعة من الإجراءات والمشاريع التي خففت من حدة التدهور الزراعي بالمنطقة خلال هذه الفترة، وكان من أبرزها ما يلي:

---

(1) حسين يوسف دواير، نفس المرجع، ص 194.

(2) صلاح طهبوب، مرجع سابق، ص 24.

(3) علي زيان، تاريخ وحضارات بلاد الأندلس، الجزائر، جامعة منتوري، قسطنطينة، 2011م، ص 71.

أ. إنشاء زياد بن أبيه جسراً يمنع طغيان الماء على الكوفة[1] مما وفر الفرصة لاستغلال أراضي كانت تعطل فترة من السنة نتيجة فيضان الماء عليها، وينتظر حتى تنتهي فترة الفيضان، وتجف الأرض حتى يمكن إعادة زراعتها مرة أخرى، كما أعطى هذا المشروع فرصة إدخال زراعة النباتات المعمرة إلى تلك الأراضي بدلاً من افتقار الزراعة فيها على المحاصيل الموسمية، وبلغ من أهمية هذا الجسر أن الولاة ظلوا يتعاهدون طيلة فترة العصر الأموي[2].

ب. عملية نقل الأيدي العاملة الزراعية من منطقة إلى منطقة أخرى، بهدف إحداث تنمية زراعية في الجهة المنقول إليها ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- نقل زياد خمسين ألف أسرة من البصرة والكوفة من ذوي الخبرة الزراعية المشهورة إلى خراسان لتعميرها[3].

سيطرة الدولة الأموية علي أنظمة الري الزراعي

هذا وقد كانت الدولة الأموية تتولى مسؤولية إقامة منشآت الري الكبرى والعمل على صيانتها وتطهيرها، كحفر الآبار ومجاري الأنهار، وسد البثوق (التصدع)، وفتح البريدات (مفاتيح الماء)، وإقامة المسنيات (السدود)، أما أصحاب الأراضي فكانوا يشاركون أحياناً في نقطة تطهير الأقنية الكبيرة،

(1) نفس المرجع، ص 72

(2) علي زيان، نفس المرجع 73.

(3) ابن خلدون، مصدر سابق، ص27.

وكذلك الأمر فإنه كان يقع على عاتقهم، بطبيعة الحال مسؤولية إقامة الأقنية ووسائل الري داخل ممتلكاتهم الخاصة[1]، وقد حاول الحكام الأمويون استغلال ما أمكنهم من الأراضي، فعملوا على توسيع نطاق الأراضي الزراعية، وبخاصة تجاه بداية الشام، عن طريق استصلاحها وتأمين المياه، ووسائل الري لها[2]، حتى أن قصور الأمويين في الصحراء كانت مراكز مهمة للاستثمار الزراعي حيث أقيمت حولها منشآت الري، من قنوات وصهاريج، ومجاري وتوسعوا بذلك في استصلاح الأراضي بواسطة توفير الري لها[3]، وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يبدي اهتماماً كبيراً بتنمية الزراعة ورفع مستوى إنتاجها، فكان يولي عنايته لتطوير وسائل الري، وإخصاب الأراضي عن طريق الاستعانة بأصحاب الخبرة والاختصاص من السكان المحليين[4]، كما أن يزيد بن معاوية كان يلقب بالمهندس نظراً لخبرته الهامة في الشؤون الزراعية، وإبداء اهتمامه بإصلاح أنظمة الري والعناية بها، فقد أمر بحفر قناة سميت باسمه بنهر يزيد، وكانت هذه القناة في الأساس رافداً صغيراً بالكاد يروي ضيعتين بالغوطة، فقام يزيد بتوسيعها وتعميقها حتى أصبحت بعرض ستة أشبار، وبعمق ستة أشبار كذلك، الأمر الذي أدى إلى زيادة تدفق المياه وغزارتها، بحيث أصبحت تكفي لري أراضي واسعة في الغوطة، وبذلك أتيح المجال أمام المزارعين للقيام باستصلاح بعض أراضيهم المتروكة والعمل على استغلالها، وكانت غالبية الأراضي في بلاد الشام تعتمد في ريها على مياه الأمطار التي تتساقط عليها خلال الفترة

---

(1) عاطف رجال، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي ، صـ135 .

(2) حسين مؤنس، فجر الأندلس، مرجع سابق، ص 82.

3 حين مؤنس، نفس المرجع، صـ136 .

4 حسين مروة، النزعات المادية تاريخ بلاد الشام الاقتصادي ، ج1، ص 476.

الممتدة بين تشرين الأول ونيسان، إلا أن أراضي واسعة[1] كانت تروي سيحاً، أي من المياه الجارية على سطح الأرض حيث تأتي من مياه بعض الأنهار ومن مياه العيون في الجداول والقنوات وكذلك فإن قسماً آخر من الأراضي كانت تروى بواسطة الآلات التي ترفع المياه من منخفضات بعض الأنهر إلى سواقي أعلى لري الأراضي التي يعلو مستواها عن مجاري الأنهر، أو التي ترفع المياه من الآبار والخزانات[2]، وتعتبر مياه العيون مهمة في ري المزروعات، حيث كانت تروي قسماً كبيراً من الأراضي في أنحاء الشام[3]وكانت الغلاة والمزروعات المتوفرة، القمح والشعير والرز والزيتون، والنخيل والعنب والتين والفواكه والقطن، وقصب السكر، والبقول، والسمسم، والرياحين، وغير ذلك[4].

المحاصيل الزراعية في الدولة الأموية:

اهتمَّ العرب والمسلمون عموماً بالزراعة اهتماماً عظيماً وأولوها اهتماماً كبيراً جداً، ولم يَشذَّ الأمويون عن هذه القاعدة، فاهتموا بها اهتماماً كبيراً، فاعتنوا بأنظمة الريّ وأقاموا الجسور والسدود وشقوا الترع وطهورها موسمياً وعمَّروا القناطير والنواعير والطواحين، وقد ازدهرت بهذا الزراعة ونمت في أصقاع الدولة كما بنوا مقاييساً كثيرة كانت تستخدم في قياس ارتفاع منسوب نهر النيل، [5]فبنيت في مصر مقاييس أنصنا (في عهد معاوية بن أبي سفيان (وحلوان) في عهد عبد العزيز بن مروان (والروضة) سنة 97هـ في عهد أسامة بن زيد .(وأما من القناطير فبُنيت قنطرة قرطبة في الوادي الكبير على يد

1 الخوارزمي، مفاتيح العلوم وتاريخ بلاد الشام الاقتصادي صـ141 .

2 علي محمد الصلابي،الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيا الناشر: دار المعرف، سنة النشر: 1429 – 2008، ص141 .

3 المصدر نفسه صـ143 .

4 المصدر نفسه، ص47 إلى 156 .

السمح بن مالك الخولاني سنة 101هـ بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكانت من أعظم قناطير الدنيا آنذاك. [1]

ومن ضمن المحاصيل التي جرت زراعتها في العصر الأموي – والكثير منها لم تكن تُزرَع في هذه المناطق سابقاً – الحمضيات والقطن وقصب السكر والذرة البيضاء والحبوب والبقول والكرمة والفستق والزيتون والنخيل .ومن أبرز المناطق التي زُرعت وعنيَ بها مصر خصوصاً ضفاف نهر النيل – التي قاس عبيد الله بن الحبحاب مساحة أراضيها الزراعية فبلغت 100 فدان – والعراق وغوطة دمشق [3].كما أن من الأراضي الشهيرة التي استصلحها وزرعها الأمويون أرض الموات في الشام التي زرعها معاوية بن أبي سفيان وجعل منها بساتين زاهرة[2].

اعتنى الأمويون بالأراضي وشجعوا على استصلاحها لكي يزيد الخراج ويزداد بدوره دخل الدولة، كما أنهم عنوا بعمال الخراج وفصلوا ولاية الخراج عن الولاية العادية – وهو أمر كان غير معتاد آنذاك –للتركيز عليه أكثر .وقد وضعوا نظاماً لجباية الخراج يَتضمَّن ثلاثة مبادئ أساسية هي المحاسبة والمقاسمة واللالتزام، فالأول هو قياس مساحة الأرض ونوع غلتها لتحديد قدر الخراج، والثاني هو تخصيصٌ جزء من المحصول يبلغ الثلث أو الربع تقريباً لوضعه في بيت مال المسلمين، وأما الثالث فهو تحمل أحد أثرياء قرية أو مدينة أو إقليم مسؤولية جباية الخراج من منطقته لمدة سنة كاملة.

ومن الأمثلة على اهتمام الأمويين بالزراعة أن الحجاج بن يوسف الثقفي كتبَ إلى عبد الملك بن مروان ليستأذنه في أخذ الفضل من الفلاحين، فأجابه الخليفة" :لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك، وأبقِ لهم لحوماً يعقدون عليها شحوماً ."وقد تدهور الاقتصاد في فترة من فترات ولاية الحجاج على العراق وتراجعت الزراعة وتولّد نقص في المواد الغذائية، وذلك نتيجة لهجرة الفلاحين في أنحاء الدولة من

(1) عبد الحميد محمود البعلي ،أصول الاقتصاد الإسلامي . الطبعة الأولى 1421هـ – دار الراوي – الدمام ، ص 134.

(2) علي محمد الصلابي، مصدر سابق، ص 157.

القرى والحقول إلى المدن وترك العمل في الزراعة، فأمرَ هو وقرة بن شريك العبسي – والي مصر آنذاك – بعودة الفلاحين إلى حقولهم في ولايتي مصر والعراق لتأمين الغذاء اللازم للدولة وإنعاش الزراعة من جديد، لكن مع ذلك فقد لاقى القرار سخطاً شعبياً في الدولة لإجبار الناس على العمل بالزراعة دون رغبتهم بها وبالإضافة إلى ذلك فقد كان الأميوون يُقدمون المعونات إلى الفلاحين في أوقات الفتن والاضطرابات التي تُصعب عملهم، ومن ضمن ذلك أن قدَّم الحجاج إلا مزارعي العراق مليوني درهم لمساعدتهم على زراعة أراضيهم خلال ولايته على الإقليم. وفي عهد عمر بن عبد العزيز بقي القليل من المال في بيت المال المسلمين بالعراق فكتب عمر إلى واليها" :أنظِرْ من كانت عليه جزية (خراج الأرض) فَضَعُفَ عن أرضه، فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه؛ فإنا لا نريدهم لعام ولا لعامين[1]."

(1) علي محمد الصلابي، المصدر نفسه، ص 157 –158.

المبحث الثاني

الثروة الحيوانية.

أهمية الثروة الحيوانية توفير الغذاء للإنسان: يعتمد الإنسان في غذائه الأساسي على منتجات الثروة الحيوانيّة من اللحوم والبيض والألبان والأجبان وغيرها؛ فجسم الإنسان يحتاج إلى العناصر الغذائيّة الموجودة في المنتجات الحيوانية مثل البروتينات .زيادة الدخل القومي: تعمل تربية الحيوانات المختلفة في زيادة الدخل القومي للدول، وذلك من خلال بيعها أو بيع منتجاتها، كما أنّه عندما تتوفّر هذه الأصناف من الثروة الحيوانية داخل البلد توفّر الكثير من النفقات والمصاريف الزائدة على الدولة .قد تُستخدم بعض الأنواع من الحيوانات في تنشيط السياحة وخاصّةً تلك المهدّدة بالانقراض والنادرة، فإنّها تجذب السياح من مختلف أرجاء العالم من الهواة للبحث عن الحيوانات الغريبة .زيادة الثروة الزراعيّة؛ فالثروة الحيوانية والثروة الزراعية تؤثّر كلٌ منها في الأخرى، ولا تتطوّر إحداهما إلّا بتطوّر الثانية .تنشيط الصناعة؛ فهناك العديد من الصناعات التي تدخل فيها منتجات الثروة الحيوانيّة، وتمثّل المواد الأوليّة لبعض الصناعات المشهورة .استخدام بعض الأنواع من الحيوانات في التنقّل من مكان لآخر، وخاصّةً في الأماكن الوعرة والطرق التي لا تستطيع السيّارات المرور من خلالها[1].

كان للثروة الحيوانية دورًا أقل تأثيرًا في الجانب الاقتصادي، فظهرت أهميتها القصوى في الغذاء والنقل، فيما لعبت دورًا أقل في الأعمال الزراعية. وكانت تربية الماشية أمرًا شائعًا، وخاصة الأبقار والماعز .فيما مثلت الأرانب والدجاج مصدرًا للغذاء. ودمج المسلمون النظم الهيدروليكية التي طورها الرومان مع تلك التي طورها القوط

(1) أحمد أمين، فجر الإسلام، يبحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية، الطبعة العاشرة سنة 1969م، دار الكتاب العربي، ص 21.

الغربيين وقاموا بتطويرها بشكل يتناسب مع التقنيات الزراعية التي جلبوها من المشرق كالمحراث والساقية والشادوف والنورج. وأنشأوا طواحين المياه على طول الأنهار، وساعدتهم الرياح على التحكم بذلك، وأدخلوا السواقي لسحب مياه الآبار ورفعها، وقد أخذت أوروبَّا عنهم هذه التقنية.

كذلك بسلالة الحصان الإسباني الأصيل أو حصان الملوك هو واحد من أشهر الخيول الإسبانية ذات الأصول العربية المختلطة. وهو نتاج تهجينه مع الخيول العربية، ويتمتع بجمال الحصان العربي ورشاقته، ويُعد حيوانًا مثاليًا لمصارعة الثيران لشجاعته[1].

وقد ساعَد موقع بلاد الشام وخصوبة أراضيها ووفرة مياهها في ازدهار الحياة الزراعية، فأصبحت الشام تنتج كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية؛ مثل: التين، والعنب، والزيتون.

كما أن خصوبة أراضي بلاد الشام، واتِّساع مروجها، وكثرة عشبها أدَّى إلى زيادة إنتاجها الحيواني، فأقبل سكان الشام على تربية الماشية خاصة الضأن والغنم[2].

(1) أحمد أمين، مرجع سابق، ص 22

(2) علي محمد الصلابي، المصدر السابق، ص 160.

الفصل الرابع
الصناعة في الدولة الأموية .

المبحث الأول: تطور الصناعة في الدولة الأموية

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في الصناعة.

المبحث الأول

تطور الصناعة في الدولة الأموية

الصناعة في الدولة الأموية:

تأثرت الحرف والصناعات في العصر الأموي بالبيئة الاقتصادية المحيطة بها، كما تأثرت الصناعات والحرف بطبيعة الاقتصادي الأموي، حيث كان النشاط الزراعي هو النشاط الرئيسي فيه، فظهرت وتطورت صناعات تعتمد في موادها الخام على القطاع الزراعي، مثل صناعة النسيج وصناعة المعاصر والمطاحن، كما واكبت الصناعة حركة التطور العمراني بالدولة الأموية، فظهرت وتطورت صناعة مستلزمات البناء، إضافة إلى تأثر الصناعة بالجو العسكري السائد في معظم فترات العصر الأموي، حيث تطورت صناعة السفن التجارية[1]، وقد اهتمت الدولة الأموية ببناء أسطول حربي، ليقف في وجه الأسطول الحربي البحري البيزنطي، والذي كان يهدد سلامة الشواطئ الغربية للدولة الإسلامية، فتطورت صناعة السفن الحربية في العصر الأموي بشكل كبير ومتلاحق، فقد كان الإنتاج في بداية العصر الأموي مقتصراً على السفن، التي كانت تنفرد مصر بصنعها حتى عام 49هـ، حيث أمر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، بإنشاء دار لصناعة السفن بالشام بمدينة عكا، وقد استقدم من مصر الخبراء للاستفادة منهم في دار الصناعة الجديدة، والتي تميزت بسهولة حصولها على الأخشاب من جبال لبنان[2]. ثم تطورت هذه

1 عصام هاشم عيد الروس، التطور الاقتصادي في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القري، 1992م، ص235 .

2 إبراهيم العدوي، خطط الشام، النظم الإسلامية، صـ355.

الصناعة، فأنشأت في مصر منطقة صناعية جديدة، خاصة بصناعة السفن الحربية، وذلك عام (54هـ - 674)[1]، واستمرت الدولة الأموية في تطوير صناعة السفن فيما بعد عهد معاوية رضي الله عنه وقد أصبحت مناطق دور صناعة السفن الحربية مناطق جذب سكاني، كما أصبحت مناطق جذب وتوطن صناعي، فأصبحت أماكن استثمار خصبة، حيث أنشأت فيها الفنادق، والمطاحن، ونحوها من الأنشطة الأخرى وساعد على نمو وتطور هذه الصناعة، ما اتسمت به منذ بداية نشأتها، من دقة التنظيم، ومن صورة هذه الدقة ابتكار وظيفة المشرف العام على دار الصناعة ويسمى متولي الصناعة، ومن أبرز مهامه جمع الطاقات البشرية الفنية العاملة في هذا المجال من نجارين وحدادين وعمال ونحوهما، سواء من الأقاليم المجاورة للصناعة، أو من مختلف أقاليم الدولة، ومن مهامه أيضاً توفير الأدوات الخام، مثل الأخشاب والمسامير وغيره من مستلزمات دار الصناعة، وعليه يمكن القول أن التنظيم كعنصر من عناصر الإنتاج في العصر الحديث ترجع جذوره إلى القطاع العام الصناعي في العصر الأموي، أو ((متولي الصناعة))، ومن صور دقة تنظيم هذه الصناعة، الاهتمام بتحديد أجور العمال، وتوفير الكميات الغذائية اللازمة لهم، كما حرصت الدولة على توفير سبل الراحة للعاملين في هذه الصناعة، وكان من بين ذلك رفعها كل ظلم يقع على العامل، وتوفير وحدات سكنية للعمال، والمشرفين على هذه الصناعة بداخل دور الصناعة، وكذا وحدات

1 عصام هاشم عيد الروس، المرجع السابق، ص 236.

لتموين السفن الحربية بالسرعة والدقة المطلوبة[1]، ونتج عن ذلك كله تطور هائل في حجم الأسطول البحري إبان العهد الأموي[2]:

لقد كانت الدولة البيزنطية متفوقة على الدولة الإسلامية الأموية في ميادين البحر، فاتخذ معاوية الوسائل المناسبة لإضعافها ثم القضاء عليها فيما بعد وفي هذا الفقه درس عظيم لقادة الأمة في معرفة عوامل قوة العدو، وجوانب تفوقه ثم السعي للوصول لنقطة تساوي ثم تفوق على الخصوم، سواء في الميادين العسكرية، أو السياسية، أو الاقتصادية أو الإعلامية، ومما نلاحظه الآن القوى العسكرية الهائلة التي تميز بها عدونا سواء على مستوى السلاح الجوي أو النووي والذري، فواجب على الأمة أن تسعى لإيجاد حلول حتى تستطيع أن تقاوم أعداءها وعلى علماء الأمة ومفكريها ألا يخضعوا للضغوط النفسية والسياسية والإعلامية التي يمارسها الأعداء علينا، وعليهم أن يبينوا أحكام الله في امتلاك لما يسمى بأسلحة الدمار الشامل. إن استمرار الأعداء في امتلاك الأسلحة الرادعة والتي لها قدرة بإذن الله على حسم المعارك العسكرية، جعلهم يتجبرون ويتغطرسون ويعملون على إفساد عقائدنا وثقافتنا وديننا، ويستولون على خيراتنا وثرواتنا وديننا يوجب علينا أن نعد لأعدائنا ما استطعنا من قوة، فلذلك وجب علينا أن نسعى لامتلاك الأسلحة الرادعة لكي نحمي بها أمننا وديننا ونقيم العدل وندفع الظلم عن البشرية.

1 عصام هاشم عيد الروس، المرجع السابق نفسه، ص354.

2 المرجع نفسه، ص241 .

ومن الصناعات التي اشتهرت في العهد الأموي، صناعة السفن التجارية، ولم تكن السفن الحربية تختلف كثيراً عن السفن التجارية، ومع ذلك كانت مناطق تصنيعها مختلفة، فقد اختصت منطقة البحرين أكثر من غيرها بإنتاج السفن التجارية، في حين كانت مصر، وعكا، وتونس مواطن تصنيع السفن الحربية، وساعد البحرين على ذلك وقوعها على الخليج العربي، والذي كان يعد من أهم طرق المواصلات التجارية البحرية بين الشرق والغرب وكذا ما اكتسبه أهلها من خبرة ملاحية نتيجة احتكاكهم بشعوب لديها خبرات ملاحية كشعوب الهند، والصين[1]. ولم تقتصر صناعة السفن على البحرين، بل امتدت إلى مدينة واسط بالعراق وقد تطورت هذه الصناعة في عهد ولاية الحجاج بصفة خاصة[2]، فقد أدخل تحسينات على صناعة السفن التجارية لتستطيع السير في عرض البحر، فأمر بتكبير حجمها، واستخدام المسامير لتقويتها، والاهتمام بهيكلها العظمي[3]، وكانت السفن التي تصنع في واسط تسمى الواسطية، وكانت تنتج مدينة واسط القوارب الصغيرة، والتي كانت تستخدم للنزهة والسفر ونقل السلع التجارية بين واسط والبصرة لضحالة الطريق النهري بينهما وعدم قدرة السفن على السير فيه[4]، ولم تكن مراكز إنتاج السفن الشرقية بالدولة الأموية متخصصة في إنتاج السفن التجارية فقط وإن كان هو الغالب عليها، بل كان لديها القدرة المزدوجة، فقد قام الحجاج أيضاً ببناء قوة عسكرية بحرية بالخليج العربي وبحر الهند

1 عبد الرحمن نجم، البحرين في صدر الإسلام ، ص84.

2 عصام هاشم عيد الروس، المرجع السابق، ص101.

3 نفس المرجع، ص242.

4 هزاع *بن* عيد الشمري، *الحجاج بن يوسف* الثقفي، وجه حضاري في تاريخ الاسلام،. دار أمية،، 1993 ص59.

بعد أن سيطرت الدولة الأموية على مصر والمغرب العربي الذين كانا خاضعين لسلطة الإمبراطورية البيزنطية استمرَّت بدعم بعض الصناعات الأساسية التي كانت سائدة في العهد البيزنطي والاستفادة منها، مثل صناعة الأقمشة وصبغها – خصوصاً باللون الأرجواني - وصناعة ورق البردي، وقد زادت هذه الصناعات من النشاط الاقتصاديّ في الدولة، كما أن توسُّع الدولة الأموية فتحَ لها أسواقاً جديدة، فمثلاً بدلاً من تصدير القمح من مصر إلى القسطنطينية أصبحَ يُصدَّر إلى الحجاز، وهكذا، وعموماً ازدهرَ النشاط الاقتصاديّ بين مصر وجنوب وجنوب شرقي الدولة الإسلامية كثيراً في العهد الأمويّ.

وعموماً من الصناعات البارزة التي ازدهرت في العصر الأمويّ الصناعات الحربية والعسكرية كافّة، مثل الحراب والخوذ والسيوف وغيرها من أدوات القتال، بالإضافة إلى صناعة السفن للمعارك البحرية التي ازدهرت في الكثير من المدن الساحلية مثل الإسكندرية ودمياط ورشيد في مصر وعكا وصور وصيدا وبيروت في الشام. كما ازدهرت الصناعات الخشبية للعمارة وصنع أثاث المنازل، وصناعات النسيج التي كانت الأكثر ازدهاراً في مصر والشام والعراق وفارس وما وراء النهر وشملت مواداً مختلفة مثل الصوف والقطن والكتان والحرير[1].

1 هزاع الشمري، المرجع السابق، صـ59.

المبحث الثاني

العوامل المؤثرة في الصناعة

تأثرت الحرف والصناعات في العصر الأموي بالبيئة الاقتصادية المحيطة بها، كما تأثرت الصناعات والحرف بطبيعة الاقتصادي الأموي، حيث كان النشاط الزراعي هو النشاط الرئيسي فيه، فظهرت وتطورت صناعات تعتمد في موادها الخام على القطاع الزراعي، مثل صناعة النسيج وصناعة المعاصر والمطاحن، كما واكبت الصناعة حركة التطور العمراني بالدولة الأموية، فظهرت وتطورت صناعة مستلزمات البناء، إضافة إلى تأثر الصناعة بالجو العسكري السائد في معظم فترات العصر الأموي، حيث تطورت صناعة السفن التجارية[1]، وقد اهتمت الدولة الأموية ببناء أسطول حربي، ليقف في وجه الأسطول الحربي البحري البيزنطي، والذي كان يهدد سلامة الشواطئ الغربية للدولة الإسلامية، فتطورت صناعة السفن الحربية في العصر الأموي بشكل كبير ومتلاحق، فقد كان الإنتاج في بداية العصر الأموي مقتصراً على السفن، التي كانت تنفرد مصر بصنعها حتى عام 49هـ، حيث أمر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، بإنشاء دار لصناعة السفن بالشام بمدينة عكا، وقد استقدم من مصر الخبراء للاستفادة منهم في دار الصناعة الجديدة، والتي تميزت بسهولة حصولها على الأخشاب من جبال لبنان[2]. ثم تطورت هذه الصناعة، فأنشأت في مصر منطقة صناعية جديدة، خاصة بصناعة السفن الحربية، وذلك عام (54هـ – 674)[3]، واستمرت الدولة الأموية في تطوير صناعة السفن فيما بعد عهد معاوية رضي الله عنه وقد

---

1 عصام هاشم عيد الروس، التطور الاقتصادي في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القري، 1992م، ص235 .

2 إبراهيم العدوي، خطط الشام، النظم الإسلامية، صـ355.

3 عصام هاشم عيد الروس، المرجع السابق، ص 236.

أصبحت مناطق دور صناعة السفن الحربية مناطق جذب سكاني، كما أصبحت مناطق جذب وتوطن صناعي، فأصبحت أماكن استثمار خصبة.

وعموماً فقد كان الاقتصاد الأموي كبيراً ومزدهراً، حيث غذته كثيراً الفتوحات الإسلامية الواسعة، فأصبحت الدولة الأموية شملت الكثير من المراكز الزراعية والصناعية الهامة التي أغنت وأثرت اقتصادها، كما أن توسعها اتاح نمو حركة الصناعات الضخمة بين ولاياتها بدون عوائق، جعلت نقل البضائع والمتاجرة بها سهلاً ويسيراً فأزدهرت الحركة الصناعية ووفرت الأيادي العاملة والمواد الخام مما ساعدت على التوسع في الصناعة[1].

بلغ الاقتصاد الأمويّ ذروة ازدهاره في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، حتى أنه يُحكى عن عهده أن عمال الصدقات كانوا يَبحثون عن فقراء ليعطوهم المال فلا يَجدون. وقد وفّرت الدولة في عهده للأفراد خدمات كثيرة وساعدت على توفير العلاج وإعالة المحتاجين، كما ساعدت الشباب على الزواج وأعانت من يريد تأدية الحج، وغير ذلك من الحاجات[2].

(1) أبو مروان حيان بن خلف، مصدر سابق، ص 187.
(2) هزاع الشمري، مرجع سابق، ص 60.

الفصل الخامس
التجارة في الدولة الأموية.

المبحث الأول: حركة التجارة الداخلية في الدولة الأموية

المبحث الثاني: حركة التجارة الخارجية في الدولة الأموية

المبحث الأول

حركة التجارة الداخلية في الدولة الأموية

يتوسط موقع الدولة الأموية بين دول الشرق الأقصى من ناحية مثل الصين والهند ونحوهما وبين الدولة البيزنطية من ناحية أخرى، ومعنى ذلك بالضرورة وطبقاً لمعايير ذلك العصر. أن أهم علاقاتها التجارية ارتبطت بهاتين الدولتين[1]، وبعد تولي معاوية الخلافة استقرت الأمور وبدأت حركة التجارة الداخلية تزدهر كما كانت عليه قبل ذلك، واهتم معاوية بمصالح التجار وعمل على توسيع نطاق التجارة، وتميز أهل الشام في حرفة التجارة وفتحوا علاقات تجارية مع غربي أوربا واستفادوا من الأسطول الإسلامي ومن بين العوامل التي ساعدت على نشاط حركة التجارة الثراء العريض الذي نعمت به طبقة الحكم وحاشيتهم، حيث نمّا في نفوسهم حب البذخ والرفاهية، وبالتالي توفر عندهم الميل والحاجة إلى اقتناء المنتوجات الكمالية، فأقبلوا على شراء السلع التجارية الباهظة الثمن، مما زاد في فعالية التجار وازدهار التجارة[2]، وكان الأمويون يقومون بدور كبير في عالم التجارة وخصوصاً أن الخليفة معاوية رضي الله عنه والده كان من كبار تجار قريش، كما أن معاوية نفسه لما كان والياً في عهد عثمان بن عفان على بلاد الشام كان يرسل بقوافله التجارية من الشام إلى حاضرة الجزيرة العربية[3]، وكان التجار يحتلون مكانة اجتماعية عالية في العصر الأموي وكانوا يقومون بتأسيس الشركات في سبيل زيادة فعالية التجارة، حيث كانوا يساهمون في الشركة بتقديم المال وممارسة العمل كذلك، أو بواحد منهما، فإذا أقدم صاحب المال على تقديم ماله لآخر ليتاجر به لقاء

1 عصام هاشم عيد الروس، التطور الاقتصادي في العصر الأموي، مرجع سابق، صـ205 .

2 حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، بيروت، الطبعة 13، 1991م، ص 171.

3 المرجع نفسه صـ172 .

حصة من الربح يتفق عليها، فيسمى ذلك الاتفاق بالمضاربة[1]. وقد ازدهرت شركات المضاربة وأصبحت وسيلة مهمة في مجال العمل التجاري[2]، وكانت تجارة الأسواق المحلية مليئة بالحركة والنشاط، وقد أصبحت عاصمة الدولة دمشق مركزاً تجارياً مهماً يعود إلى الظروف السياسية الجديدة التي نشأت، فغيرت من سبل واتجاهات حركة التجارة عما كانت عليه سابقاً في العصر البيزنطي، حيث أصبحت دمشق عاصمة للخلافة الأموية، ومحط للتجارة الشرقية[3]، وبالتالي مركزاً لتوزيع البضائع إلى الجهات المختلفة، بعد أن كانت القوافل المحملة بالبضائع الشرقية تتجه مباشرة إلى إنطاكية على ساحل الشام الشمالي، وهكذا كان لأهمية تجارة دمشق التي تتكدّس في أسواقها البضائع المتنوعة، المنتجة محلياً والمستوردة أن قال ياقوت بأنه يستحيل أن يطلب شيء في الأسواق دمشق غير موجود، حتى إن السلع الغالية الثمن التي تستورد من جميع أنحاء العالم المتمدن موجودة فيها[4]. ثم إن دمشق كانت بحكم موقعها الجغرافي المتاخم للبادية المركز التجاري الهام الذي يقصده البدو والمقيمين في الصحراء[5]، وقد اشتهرت مدن الشام كحلب والرصافة، وحمص، والرملة والقدس وإنطاكية بأهميتها التجارية، ونشاط أسواقها[6] وكانت عاصمة الشام، محط رحال القوافل التجارية الآتية من الشرق، ولا شك أن الكوفة والبصرة والموصل، ومدن الحجاز، ونجد وغيرها قد ازدهرت حركة التجارة فيها أيضاً إلا أن مدن الشام كانت تزدهر فيها التجارة أكثر من غيرها، حيث أنها تعتبر مراكز تجارية كبرى وأسواقاً هامة، كما أن الأسواق الموسمية التي كانت تقام في بعض

1 حسن إبراهيم حسن، الرجع السابق نفسه صـ174 .

2 المرجع نفسه صـ174 .

3 أبي ياقوت عبد الله أبي ياقوت، معجم البلدان، دار إحيار التراث الإسلامي، دون تاريخ 183 .

4 نفس المصدر، ص 184.

5 أبو مروان حيان بن خلف، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، بيروت، دار الكتاب العربي، 1983م، ص183

6 نفس المصدر، ص 184

المدن، تعرض فيها البضائع المتنوعة بكثرة، كانت توفر مجالاً أوسع لتأمين كافة متطلبات واحتياجات سكان المدن والقرى كذلك، بالإضافة إلى أن هذه الأسواق كانت مناسبة هامة للتجار الذين يأتون إليها من أماكن مختلفة تستفيد من كل ذلك. وقد كان من هذه الأسواق التي كانت قائمة في العصر البيزنطي واستمر قيامها في العصر الأموي سوق بصري الذي كانت تطول مدة إقامته، حيث كان يستمر من ثلاثين إلى أربعين يوماً وكذلك فقد كان هناك سوق أذرعات الذي استمر قيامه حتى ما بعد العصر الأموي[1].

1 أبو مروان حيان بن خلف، نفس المصدر، ص187.

المبحث الثاني

حركة التجارة الخارجية في الدولة الأموية

قبل الإسلام كان دور العرب التجاريّ يَقتصر بشكل أساسي على كونهم وسيطاً وأراضيهم معبراً هاماً للطرق التجارية الأساسية التي تمرُّ من الهند والصين إلى أوروبا لتحمل قوافلها التوابل والبخور والحرير من المشرق إلى القارة الأوروبية حيث الطلب عليها كبير. أما في العصر الأموي فقد أصبحت الطرق التجارية بأكملها تقريباً تحت سيادتهم، وسيطر المسلمون على جلّ النشاط التجاري في العالم القديم، إذ أصبحوا يُصدّرون بضائعهم إلى الشرق والغرب، فالصين لها على سبيل المثال المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية والبسط والمعادن وخام الحديد وسبائك الذهب والفضة، فيما استورد المسلمون منها الحرير بدورهم. وفضلاً عن الدور الكبير الذي لعبه هذا النشاط التجاريّ الواسع في تنشيط وتقوية الاقتصاد الأمويّ، فقد انتعش الاقتصاد أكثر بما يُشبه رسوماً جمركية كانت تفرضها الدولة على القوافل التجارية المارَّة بأراضيها، وقد جعلها ذلك أكثر ثراءً وقوة على الصعيد الاقتصاديّ(1).

وأما بالنسبة للتجارة الخارجية في عهد معاوية رضي الله عنه وابنه، فقد ازدهرت التجارة مع الدولة البيزنطية، وازدادت نمواً وقوة، وقد ساهمت عدة عوامل في هذا الازدهار منها:

1. كثرة الاضطرابات والحروب في المنطقة الشرقية من الدولة الأموية، مما خفض من حجم المبادلات التجارية بينها وبين دول المشرق ولو بشكل جزئي، وبالتالي زيادة حجم المبادلات التجارية مع دولة بيزنطة بالغرب.

(1) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، موسوعة سفير للتاريخ الإسلاميّ، مرجع سابق، ص86-88.

2. الاستقرار الأمني من الدولة الأموية، دفع بكثير من رؤوس الأموال للهجرة من مناطق التوتر في الشرق إلى إقليم الشام، بحثاً عن فرص استثمار تجارية آمنة.
3. الاعتماد الكلي لكل من الدولتين على الأخرى في مجال هام وحيوي بالنسبة لها، فكما كانت الدولة البيزنطية تعتمد كلياً على أوراق البردي، كانت الدولة الأموية تعتمد كلياً في حجم النقد الذهبي داخلها على ما يردها من الدولة البيزنطية. ومن العلامات التي تدل على ازدهار التجارة بين الطرفين في عهد معاوية ومن بعده ما يلي:

أ. كمية الدنانير الذهبية البيزنطية التي كانت موجودة في داخل الدولة الأموية تتم بها عمليات التداول الداخلية.

ب. استمرار مصانع إنتاج البردي في مصر في إنتاجه على النهج البيزنطي للتصدير حتى عهد عبد الملك بن مروان[1].

شهدت الدولة الأموية حركة تجارية نشطة عبرَ أنحائها المختلفة الواسعة ومع الدول والإمبراطوريات الأخرى المجاورة على حد سواء. ولم تُقم الدولة أي قيود من أي شكل على كافة أشكال التجارة بين ولايات الدولة نفسها، كما لم تفرض قيوداً أو تقنن بأي شكل التداولات التجارية مع الدول المجاورة، ولم تحتكر أي نوع من البضائع التجارية، وبذلك فإن القوانين التجارية لم تختلف في العهد الأموي كثيراً عما كانت عليه في عهد الخلافة الراشدة[(2)].

1 عبد الشافي محمد عبد اللطيف، موسوعة سفير للتاريخ الإسلاميّ، مرجع سابق، ص 90

(2) الراغب السرجاني، الحياة الاقتصادية في الخلافة الأموية .موقع قصة الإسلام، تاريخ النشر 01-05-2006، ص 13.

وقد كان للقوافل التجارية في الدولة الأموية طريقان أساسيان تمرُّ عبرهما، الأول تعبر فيه السُّفن بحراً حتى تبلغ مضيق باب المندب، فإما أن تواصل إبحارها عبرَ البحر الأحمر حتى تبلغ ميناء القلزم – السويس فتنقل بضائعها من هناك عبر القوافل البرية إلى الموانئ المتوسطية مثل الإسكندرية فتنقل بحراً إلى أوروبا، وإما أن تفرغ بضائعها في عدن باليمن ثم تنقلها براً عبر ساحل شبه الجزيرة العربية مروراً بمكة) التي كانت مركزاً تجارياً هاماً) وحتى غزة في فلسطين حيث تتابع بحراً إلى أوروبا، وقد كانت تمرُّ عبر هذا الطريق أغلب البضائع المُصدَّرة إلى شمال أفريقيا والأندلس وأوروبا الغربية . وأما الطريق الثاني فتمرُّ فيه السفن عبر الخليج العربي حتى تفرغ بضائعها في ميناء الأيلة قربَ البصرة، ومن هناك تتابع قوافل البر طريقها عبرَ العراق ثم إلى الشام، وهناك تفرغ الحمولة في الموانئ المتوسطية مثل عكا وصور وصيدا وبيروت واللاذقية وأنطاكيا حيث تُنقَل إلى أوروبا، وهو الطريق الذي كانت تُنقَل عبره أغلب البضائع المُصدَّرة إلى أوروبا الشرقية والجنوبية قادمة من الصين عبر بلاد ما وراء النهر(1).

بشكل عام امتاز المجتمع في العصر الأموي بالترف الكثير على النقيض من عهود الإسلام السابقة. ولم ينعكس ذلك على المناسبات والعادات الاجتماعية فحسب، إنما على ملابس العامة أيضاً، فتنافس الناس وخصوصاً الخلفاء وكبار رجال البلاط في شراء الملابس الجديدة والفاخرة والمتميزة، وأصبحَ الجميع يرتدون جباباً وأردية وسراويل وعمائم وقلانس. ثم ومع ازدياد الإسراف أصبح التجار يجلبون معهم إلى البلاد الإسلامية مختلف أنواع الحرير والصوف بين موشّى ومطرّز ومحاك بالذهب والفضة ومرصع بالأحجار الكريمة وكان خلفاء بني أمية يرتدون ملابس بيضاء على الأغلب ومن أفخر أنواع القماش المطرز وكان من قطع الملابس التي ارتداها الأمويون: القباء

(1) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، موسوعة سفير للتاريخ الإسلاميّ، مرجع سابق، ص82-84.

(رداء أو زي خارجي مفتوح عند الرقبة أو يقفل بأزرار وهو ضيق الكمين وفي بعض الأحيان متوسط الاتساع) والدراعة (جبة مشقوفة من الأمام) والطيلسان (الطرح التي تغطي الرأس) والغلالة (ثوب رقيق شفاف يشبه القميص الذي ترتديه المرأة) الملحفة)ملاية) والإزار (لباس لستر العورة) والشاشية (قبعة) والتكة (رباط السروال كما أن أسلوب إنتاج الأقمشة الخاصة المطرزة في المناسج الملكية ولد في العصر الأموي، ثم تطور لاحقاً وساد في أنحاء الدولة الإسلامية خلال العصور الوسطى، وكان أول خليفة أموي يؤسس مصانع خاصة للنسيج المطرز هشام بن عبد الملك وقد كان من الظواهر المهمة في العصر الأموي أن أصبحَ غير المسلمين يرتدون ملابس العرب الفاخرة، حتى جاء عهد عمر بن عبد العزيز الذي حَرّم على أهل الذمة ارتداء لباس الرأس العربي ومنه العمامة والعصب والطيلسان والملابس العسكرية العربية والأردية الخاصة مثل القبعة، وكان على هؤلاء أن يرتدوا حزاماً متميزاً يسمى المِنْطَق وأحياناً الزُنّار[1]

ازدهرت التجارة بين مصر وجنوب وجنوب شرقي الدولة الإسلامية كثيراً خلال العهد الأمويّ، وذلك بتصدير مواد عديدة من أبرزها القمح المصري. وبعدَ ظهور الدولة الأموية وتوسّعها في منطقة الشرق الأدنى عادت الحركة التجارية مع المناطق المجاورة إلى الانتعاش، إذ كانَت التعاملات التجارية محدودة جداً بينها وبين مناطق نفوذ الدولة البيزنطية قبل ذلك خلال عهد الإمبراطورية الساسانية وحربها مع البيزنطيين في القرن السادس للميلاد، وأما بعد أن أصبحت أغلب مناطق الإمبراطوريتين كلاهما جزءاً من أراضي الدولة الأموية الشاسعة فقد أصبحَ من الممكن للحركة التجارية أن تأخذ طريقها بحرية عبرَ أصقاع الدولة. وقد كان لانفتاح الأبواب هذا أمام التجارة في أنحاء الدولة

(1) Stefan Goodwin, Africas Legacies Of Urbanization: Unfolding Saga of a Continent, (Rowman & Littlefield, 2006),P. 85

الأموية دورٌ كبيراً في إثراء مصر وازدهارها الاقتصاديّ الكبير في هذا العصر، والذي دام طوال القرنين السابع والثامن الميلاديَّين، وأصبحت خلاله الإسكندرية كما وصفها المؤرخون مدينة عامرة وواسعة فيها بضائع ومستوردات من كل البلاد، كما شملَ هذا الازدهار الاقتصاديّ أيضاً بلاد الشام، فضلاً عن المغرب العربي الذي كثر فيه الذهب ورُبيت فيه الكثير من الخيول والإبل وازدهرت تجارة الحبوب التي تشتهر المنطقة بها[1]. ومن بين كافة مناطق الدولة الأموية الواسعة لم تشهد سوى منطقة واحدة ركوداً وضعفاً اقتصاديَّين في هذا العصر، وهي شبه الجزيرة الأيبيرية وجنوب غالة) إسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا حالياً)، وذلك بعد أن ركدت الحركة التجارية التي كانت موجودة سابقاً بين الموانئ الفرنسية والشامية، بالإضافة إلى انخفاض الطلب على الرقيق السلافي الذي كان من أهم موارد التجارة في فرنسا، وبعد أن استبدل بالرقيق التركي والإفريقي [2].

بلغ الاقتصاد الأمويّ ذروة ازدهاره في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، حتى أنه يُحكى عن عهده أن عمال الصدقات كانوا يَبحثون عن فقراء ليعطوهم المال فلا يَجدون. وقد وفّرت الدولة في عهده للأفراد خدمات كثيرة وساعدت على توفير العلاج وإعالة المحتاجين، كما ساعدت الشباب على الزواج وأعانت من يريد تأدية الحج، وغير ذلك من الحاجات.

مع دول الجوار

في الحقيقة فإن الفتوحات الإسلامية لم تعطل الحركة التجارية في العالم القديم، إنما حرَّكت اتجاهها وغيرته لتغذي الدولة نفسها أكثر من خارجها .والمناطق الوحيدة التي استمرَّت فيها الحركات التجارية نشطة بشكل ملحوظ خارج الدولة الأموية بعد

(1) عبد الشافي محمد عبد اللطيف موسوعة سفير للتاريخ الإسلاميّ،مرجع سابق، ص86-87.

(2) نفس المرجع، ص 88.

فتوحاتها الكبيرة هي بيزنطة وإيطاليا وبلاد الخزر .وبشكل عام فقد كانت أغلب المبادلات التجارية في العالم القديم تدور بين أراضي الدولتين الأموية والبيزنطية الكبيرتين المتنازعتين، وقد أدَّت القطيعة بينهما نتيجة الحرب إلى شلل كبير في الحركة الاقتصادية خصوصاً في منطقة حوض المتوسط[1].

عقدَ الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في سنة 69هـ صلحاً مع البيزنطيين التزموا بموجبه بدفع مبالغ كبيرة من المال إلى الإمبراطور البيزنطيّ، حيث كان عبد الملك مشغولاً بنزاعات الدولة الداخلية وعاجزاً عن الدفاع عن حدودها. لكن عندما جاءَ وقت تأدية الأموال أرسل عبد الملك إلى الإمبراطور جستنيان الثاني الدنانير العربية التي بدأ بضربها حديثاً في دمشق بدلاً مما اعتادته المنطقة من دنانير رومانية، فغضب جستنيان وبدأ حرباً ضد الأمويين، وقد تقلّصت إثرَ هذه الحرب المبادلات التجارية كثيراً بين الدولتين، مثل ورق البردي الذي أوقفت مصر تصديره إلى البيزنطيين، ونفس الشيء في الولايات البيزنطية، غير أن الولايات البيزنطية في آسيا الصغرى رفضت موقف الإمبراطور ولم تلتزم بالمقاطعة فاستمرّت بتصدير الخشب إلى مصر كما في السابق[2].

ولاحقاً زادت المقاطعة أكثر، ففي القرن الثامن الميلادي دخلت الإمبراطورية البيزنطية في قطيعة كاملة مع الدولة الأموية وحظرت تصدير كافة أشكال السلع التجارية إليها، وذلك على الرُّغم من أن الأمويين لم يردوا على ذلك بأي إجراءات. ومع الوقت ازدادت سيطرة البيزنطيين على الحركة التجارية في المنطقة، وتمكّنت أساطيلهم البحرية من الهيمنة على الحركة البحرية عسكرياً وتجارياً في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود خلال فترات كبيرة من القرن الثامن، خصوصاً بعد حملة القسطنطينية التي استنفذت

(1) عبد الشافي محمد عبد اللطيف موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص82.

(2) نفس المرجع، ص84.

أساطيل الدولة البحرية كثيراً وأنهكتها، ولم تلتئم القوة البحرية الأموية من جراح هذه الحملة حتى عهد هشام بن عبد الملك في منتصف القرن الثامن. منذ ثلاثينيات هذا القرن بدأ البحر المتوسط بالانقسام إلى شطرين منفصلين معزولين عن بعضهما تجارياً، واحد تحتَ السيطرة الإسلامية والآخر تحتَ السيطرة البيزنطية، وذلك نتيجة للحرب بين الأمتين .ويعتبر المؤرخون أن الإمبراطورية البيزنطية كانت تستخدم العزلة الاقتصادية كسلاح ضد عدوّتها الدولة الأموية لإنهاكها وهزمها في الحرب[1].

(1) هزاع الشمري، المرجع السابق نفسه، صـ60.

الخاتمة:

سوف أختم عملي بتلخيص ما توصلت إليه من الخلاصات حول ممموضوع (الحياة الاقتصادية في الدولة الاموية) حيث لم يت تناولها في العصور السابقة وربط هذا التطور بعصور وحضارات قديمة مختلفة لابد من اتحاد الأمة الإسلامية والبعد عن كل مسببات الخلاف، والمحافظة على الأثر الايجابي لتلك الفتوحات الإسلامية ومعاملة أهل الذمة معاملة أوصانا بها الله ورسوله، والاهتمام بالجانب الزراعي لحل كثير من المشكلات الحديثة، كذلك الاهتمام بالثروة الحيوانية لتتوفير معظم الاحتياجات الإنسانية كما يجب المحافظة على الإرث الصناعي وتطويره للاستفادة منه في المجتمعات الإسلامية الحديثة، والاستفادة من المقومات الصناعية والإرث الإسلامي في التوسع في الصناعة والتجارة، إلا أن تبلور ذلك من خلال الدراسة وتوصلت إلى عدد من النتائج نجملها في الآتي:

النتائج:

1. حدوث شرخ وسط المسلمين نتيجة للخلافات التي أدت إلي ظهور الدولة الأموية.
2. توسع الدولة الإسلامية ونشر الدين الإسلامي وأثره في المجتعات الجديدة نتيجة فتوحات الدولة الأموية.
3. مزيج وأنصهار أهل الذمة والنصاري والتشبع بالقيم الإسلامية
4. تنشيط جانب الطلب الفعَّال على المنتجات الزراعية عن طريق رفع دخول شريحة كبيرة من المجتمع، وهم فئة الموالي كما منع العطاء عن التجار ونحوهم
5. عدم الاهتمام بجانب الثروة الحيوانية ولم يكن لها تأثير في الدولة الأموية.
6. انتشار الصناعة في الدولة الأموية ونتيجة التوسع الزراعي.
7. وجود المقومات الصناعية أدي إلي التوسع في حركة التجارة والصناعة داخل الدولة الأموية وارجائها.

الملاحق

خريطة الدولة الأموية

المصدر: أثار الحضارة الأموية https://ar.wikipedia.org/wiki

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: كتب السنة النبوية:

1. الإمام الترمزي ، الجامع الصحيح لسنن الترمزي، لأبي عيسي محمد بن عيسي، تحقيق أحمد محمد شاكر، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الجزء 5.
2. البخاري، صحيح البخاري، الجزء5.
3. محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب. مادة (قصد). دار صادر. بيروت. الطبعة الأولى.

ثالثاً: المصادر:

1. ابن أعتم الكوفي ،أبو محمد أحمد الكوفي ، الفتوح ، دار الكتاب، بيروت،1406هـ ،1986م ،ج2.
2. _____، أبو محمد الكوفي، الفتوح، دار الكتاب، بيروت،1406هـ، 1986م، ج2
3. ابن الأثير، الكامل في التاريخ – المجلد الثاني، دار صادر، 1979م.
4. ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد مصطفي عبد القادر ، دار الكتب العلمية بيروت.
5. ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري، القاهرة، طبعة دار الحسينية، 1336هـ، الطبعة 4.
6. ابن خلدون، المقدمة، ج4، الكتاب اللبناني للطباعة 1959.
7. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب *الماوردي* ، نصيحة الملوك، (ت 450هـ)، المحقق: خضر محمد خضر - الناشر: مكتبة الفلاح، الطبعة، الأولى.
8. أبو مروان حيان بن خلف، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، بيروت، دار الكتاب العربي، 1983م.

9. أبوبكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية و زهادهم، الجزء2، دار الغرب الإسلامي، دون تاريخ نشر.
10. أبي ياقوت عبد الله أبي ياقوت، معجم البلدان، دار إحيار التراث الإسلامي، دون تاريخ.
11. الحسن أحمد بن يحيي البلازري، فتوح البلدان، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، بيروت، دارالمعارف للطباعة والنشر، 1956م.
12. الخوارزمي، مفاتيح العلوم وتاريخ بلاد الشام الاقتصادي.
13. الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، طبعة تونس 1968م.
14. العباس أحمد بن محمد بن عذاري، المغرب في أخبار الأندلس والمغرب الناشر : دار الثقافة، بيروت– لبنان، مطبعة البيان،1983م، ج1، الطبعة الثالثة.

رابعاً المراجع:

1. إبراهيم العدوى ،الأمويين والبيزنطيين ،القاهرة ،1952.
2. أحمد أمين، فجر الإسلام، يبحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية، الطبعة العاشرة سنة 1969م، دار الكتاب العربي.
3. أحمد لبيد إبراهيم ، سمير سيف ، عصر النبوة والخلافة الراشدة، المغرب، الرباط، المكتبة التجارية 1984م.
4. إسماعيل محمود ، قضايا في التاريخ الإسلامي ، منهج وتطبيق ،دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب ، ط2 ، 1981م.
5. جلال عبد الرحمن أبي بكر، السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، ط3، 1383هـ– 1964م.
6. حركات إبراهيم، السياسة والمجتمع في العصر الأموي، المغرب، دار الآفاق للطباعة والنشر، ط1، 1990م.
7. حسين مروة، النزعات المادية تاريخ بلاد الشام الاقتصادي ، 1ج76.

8. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، المكتبة الوقفية، 1978م.
9. حسين يوسف دوادير، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، جامعة الأزهر، مطبعة الحسين، 1994م.
10. حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، القاهرة، دار الكتاب، دون تاريخ.
11. رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الجزائر 1968.
12. الراغب السرجاني، الحياة الاقتصادية في الخلافة الأموية .موقع قصة الإسلام، تاريخ النشر 01-05-2006. تاريخ الولوج 09-05-2012.
13. الراوى ثابت إسماعيل ، العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية ، مكتب النهضة ،ط1، بغداد ،1965م.
14. رمضان عبد التواب، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، القاهرة، دار المعارف، 1983م.
15. سالم بن عبد الله الخلف، نظام حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2003هـ.
16. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، لبنان، 1997مؤسسة شباب الجامعة
17. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، لبنان، 1997مؤسسة شباب الجامعة
18. شبارو، عصام محمد .(1987) تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين .بيروت-لبنان :دار مصباح الفكر.
19. صلاح طهبوب، العصر الأموي، عمان، دار أسامة لطبع، 2004م.
20. عبد الحميد محمود البعلي ،أصول الاقتصاد الإسلامي . الطبعة الأولى 1421هـ – دار الراوي – الدمام.
21. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، بيروت، الجزء 2، طبعة 1980.

22. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح افريقيا والأندلس، طبعة 1964 الصادرة عن دار الكتاب اللبناني.
23. عبد الشافي محمد عبد اللطيف، موسوعة سفير للتاريخ الإسلاميّ، الجزء الثاني "العصر الأموي"، القاهرة، دون تاريخ، 1417هـ.
24. علي محمد الصلابي، صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الأفريقي، الأردن، دار البيارق، 1997م.
25. علي محمد الصلابي،الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار الناشر: دار المعرف، سنة النشر: 1429 – 2008
26. محمد الضخري بك، تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية ، 1969م، المكتبة التجارية الكبرى، ج1.
27. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية 41هـ – 132، القاهرة، دار صادر، 2010م.
28. محمد ضيف الله بطاينة، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، عمان، الأردن، دار الفرقان، 1999م.
29. محمد عبد الحميد الرفاعي، الطابع الإسلامي للدولة الأموية، طبعة دار الثقافة العربية، القاهرة 1992م
30. محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، دارالاحياء 1963.
31. محمد قباني، الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط، دار الفاتح، دار وحي القلم، 2006م
32. ــ، الوجيز في الخلافة الراشدة، الطبعة الأولى، سنة 2006م، دار الفاتح، دار وحي القلم
33. محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي، العهد الأموي، الطبعة الأولى سنة 1982م، المكتب الإسلامي.

34. محمود شبيت خطاب، جيش المسلمين في عهد بني أمية، المجمع العلمي العراقي، ج1، 1956م7 .
35. موسى القبال ، تاريخ المغرب الاسلامي، طبعة 1969.
36. نادية محمود مصطفى، الدولة الأموية دولة الفتوحات، الجزء الثامن من موسوعة العلاقات الدولية في التا ريخ الإسلامي –ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1966م.
37. هزاع بن عيد الشمري، الحجاج بن يوسف الثقفي، وجه حضاري في تاريخ الإسلام، دار أمية، 1993م.
38. يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها إبتداءاً من فتنة عثمان، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، 1985م.

خامساً: المراجع الأجنبية:

1. Arabische Reich und sein sturz. Julius Wellhausen.
2. Jonathan Miran, Red Sea Citizens: Cosmopolitan Society and Cultural Change in Massawa, (Indiana University Press, 2009).
3. Stefan Goodwin, Africas Legacies Of Urbanization: Unfolding Saga of a Continent, (Rowman & Littlefield, 2006), 85
4. Joomla SEF URLs by Artio FaLang translation system by Faboba

سادساً: الرسائل الجامعية:

1. علي زيان، تاريخ وحضارات بلاد الأندلس، الجزائر، جامعة منتوري، قسطنطينة، 2011م.
2. عصام هاشم عيد الروس، التطور الاقتصادي في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القري، 1992م.
3. شبارو، عصام محمد، (1987م) تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين، رسالة ماجستير، بيروت، لبنان، دار مصباح الفكر.